الرسالة



مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم السيد مدير ادارة المجلات ٢٧ شارع عبد الخالق ثروت بريد محمد فريد . القاهرة

تصدرها

الثقافة والارشاد القومي



الاشتراكات ١٥٠ قرشاً سنويا ويضاف أجر البريد من خارج ج.ع.م

فن القصص

للدكتور محمد أحمد خلف الله

- ٢ -

كنت على الا أكتب مرة ثانية فى هذا الموضوع ، ولكن بعض الزملاء قد كتبوا الى مطالبين بايضاح أكثر عن مركز الفقهاء الكبار ومدى قربهم أو بعدهم من النظم التى كانت تسير عليها الحياة فى أيامهم ، لذا أجبت وأرجو أن يكون هذا المقال خاتمة المطاف .

وأبدأ فاعرض على القراء العمليات القانونية التى تتم فى أيامنا هذه ومدى صلتها بالواقع العملى لتكون عاملا مساعدا فى البيان والايضاح .

تبدأ العملية فى المؤسسات القائمة التى تريد تعديلا أو تطويرا فى نظمها - لتلائم الواقع العملى للناس أو لترتفع بهذا الواقع فى سبيل الكمال درجة أو درجات - بأن تعد نظاما جديدا ، وتشير الى الاهداف التى تريد أن تحققها من ورائه .

وتنتهى هذه العملية فى مجلس الدولة الذى يصيغها فى مواد ويبعث بها للسلطات التشريعية لاصدارها بعد الموافقة عليها .

وبعد الموافقة تنزل هذه المواد القانونية الى الحياة بعد نشرها فى الجريدة الرسمية للدولة .

وهنا تبدأ عملية قانونية جديدة تقوم فى ميدان المحكمة بين القضاة ورجال النيابة والمحامين - وتقوم هذه العملية على شرح النصوص القانونية ، وتفسيرها بمقتضى الأصول التى أخذت عنها ، وبمقتضى الحقوق الانسانية التى هى الأصل الاول فى القوانين .

ثم هناك عملية قانونية اخرى ميدانها لا يكون فى المحكمة وانما يكون فى الجامعات وفى مدرجات كليات الحقوق .

ان العملية هنا تمتاز عن السابقة فى أنها عملية

علمية خالصة يراد منها تكوين العقلية القانونية . ومن هنا تكون المواد التي تتناول بالدرس والشرح لا قضية من القضايا وانما نظرية من النظريات . هنا يتنـــاول الأساتذة المبادىء القـــانونية والنظريات القانونية - يتناولونها معتمدين على علم ومعرفة لهم بكل ما يدور حول هذه المبادىء أو هذه النظريات من وجهات نظر مختلفة . ومن هنا ايضـــا يتوسع الأساتذة الكبار في عرض وجهـات النظر هذه عند الامم العديدة فيذكرون لنـــا وجهة نظر القـانون الفرنسي والقـانون السويسري والقانون الانجليزي والقانون الروسي والقانون الامريكي ... الخ .

خذ مثلا القانون البحري ، أو القانون التجاري ، أو القانون الجنائي ، أو قانون الجنسيات والهجرات وما أشبه ، واقرأ ما كتب فيه الأساتذة فستجد حتما ما قصصت عليك من أنهم يعرضــون وجهات نظر كثيرة ومختلفة .

ان مافي كتب أساتذة كلية الحقوق وما يتعرضون له من دراسات مقارنة يجعل علمهم القانوني أوسع مما تتطلب حياتنا في مصر ومن هنا يصح لنـا أن نقول انها بعيدة عن واقعنا العملي .

ان الذي يمثل الواقع العملي حقا هي القوانين التي تصدرها السلطات التشريعية وليس وجهات النظر القانونية التي يقوم بدراستها الاساتذة الجامعيون.

ان لهؤلاء موقفا ولأولئك موقف آخر . وان لهؤلاء أهدافا يعملون على تحقيقها ولأولئك أهداف أخر ومن الواجب علينا ألا نخلط بين الأمرين أو بين الموقفين.

***

وننتقل الآن الى التشريع الاسلامي ، وأكرر هنا للمرة العشرين أني انما أتحدث عن المعـــاملات وليس عن المعتقدات والعبادات .

ان عمل الفقهاء يشبه الى حد كبير عمل شراح القانون في دور المحاكم ، وعمل أساتذة القانون في الجامعات .

انهم يشبهون شراح القانون حين يكون الأصـل كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام .

وانهم يشبهون أساتذة الجامعـات حين يكون الأصل في المسالة الاجماع أو القياس أو ما أشبه من الأعراف والعادات .

ان الذي يمثل الحياة في المجتمع الاسلامي القديم انما هو النظام العملي الذي كانت تجري عليه الدولة أما أقوال الفقهاء وآراؤهم فقد كانت أوسع من الحياة في أيامهم ، لأنها الدراسة التي تقوم على النظـريات والكليات وليست على الجزئيات . ومن هنا قلت بأنها بعيدة عن الواقع العملي للحياة .

ولعله أن يكون من المفيد أن أشير هنا الى بعض الآراء التي أوردها الفقهـاء عنـد حديثهـم عن ولاية القضاء ، إذ نجد فيها شيئا شبيها بالذي أقول .

(أ) يجوز لمن اعتقد مذهب الشافعي رحمه الله ان يقلد القضاء من اعتقد مذهب ابي حنيفة لأن للقاضي ان يجتهد برايه في قضائه . ولا يلزمه أن يقلد في النوازل والأحكام من اعتزى الى مذهبـه ، فاذا كان شـافعيا لم يلزمه المصير في احكامه الى اقاويل الشافعي حتى يؤديه اجتهاده اليها ، فان أداه اجتهاده الى الأخذ بقول ابي حنيفة عمل عليه واخذ به .

(ب) واذا نفذ قضاؤه بحكم وتجدد مثله من بعـد اعاد الاجتهاد فيه وقضى بما أداه اجتهـاده اليه وان خالف ما تقدم في حكمه فان عمر رضي الله عنه قضى في المشتركة بالتشريك في عام وترك التشريك في غيره فقيل له : ما هكذا حكمت في العام الماضي ، فقال تلك على ما قضينا وهذه على ما نقضي .

(ج) وقد منع بعض الفقهاء من اعتزى الى مذهب ان يحكم بغيره ، فمنع الشافعي ان يحكم بقول أبي حنيفة ، ومنع الحنفي ان يحـكم بمذهب الشافعي اذا أداه اجتهاده اليـه ، لما يتوجه اليه من التهمة والممايلة في القضايا والأحكام ، واذا حكم بمذهب لا يتعداه كان انفى للتهمة وارضى للخصوم .

وهذا وان كانت السياسة تقتضيه فاحكام الشرع لا توجبه لأن التقليد فيها محظور ، والاجتهـاد فيها مستحق .

ان الفقرات السابقة تشير ، فيما تشير اليه ، الى حقيقتين هامتين ، هما اللتان يصح أن نبرزهما فى هذا المقام .

الأولى : ـ ان الأصل فى القضاء هو الاجتهاد ـ اجتهاد القاضى فيما بين يديه من قضايا . وهو اجتهاد غير مقيد بمذهب بعينه وانما هو متروك للقاضى نفسه ـ ويطلب من القاضى أن يجتهد في كل قضية على حده ، ولا بأس عليه من ان يجيء حكمه فى قضية من القضايا مخالفا لحكمه فى قضية مماثلة لها تماما ما دام اجتهاده الجديد هو الذى أدى الى هذا ـ والاصل هنا موقف عمر رضى الله عنه ، كما مر بنا . وهذا هو الرأى الشرعى النظرى .

الثانية : ـ ان تنظيم الدولة أو السياسة كما يقولون قد يدعو الى مخالفة هذا الرأى الشرعى ، كما يدعو الى العمل فى ميدان القضاء من داخل اطار مذهب واحد ، وذلك لأن عملية التوحيد تكون ـ كما يقولون ـ أنفى للتهمة وأرضى للخصوم ـ وهذا هو المنطق العملى .

وليس من شك فى أن هذا القول الاخير هو الذى يتفق وعصرنا ، وحياتنا العملية . فالقاضى يجب أن يجتهد فى حدود اطار معين هو فى وقتنا الحالى القانون ـ القانون المدنى أو الجنائى أو التجارى أو البحرى أو .. أو ...

وكنا على أن نحمد للفقهاء هذه النظرة الواقعية العملية لولا أنهم عادوا فسلبونا اياها وذلك عند حديثهم عن الشروط التى قد يشترطها الوالى على القاضى عند توليته القضاء ـ تلك التى تكون فى أوامر التعيين .

يقولون : اذا قال المولى للقاضى : قد قلدتك القضاء فاحكم بمذهب الشافعي رضى الله عنه ـ على وجه الأمر ـ أو لا تحكم بمذهب أبي حنيفة رحمه الله ـ على وجه النهى ـ . كانت الولاية صحيحة والشرط فاسدا ....

ويجوز للقاضى أن يحكم بما اداه اليه اجتهاده سواء وافق الشرط أم خالفه .

ويكون اشتراط المولى لذلك قدحا فيه ان علم انه اشترط ما لا يجوز . ولا يكون قدحا ان جهل ـ لكن لا يصح مع الجهل ان يكون واليا وموليا .

ويقولون : اذا قال المولى للقاضى : قد قلدتك القضاء، على الا تحكم فيه الا بمذهب الشافعي أو بقول أبي حنيفة ـ كانت الولاية باطلة لانه عقدها على شرط فاسد .

وقال اهل العراق تصح الولاية ويبطل الشرط .

ان هذه الأقوال تؤكد حرية القاضى الى أبعد حد ، تجعل الاجتهاد هو الأساس الأول فى ميدان القضاء ـ الاجتهاد دون تقيد بمذهب بعينه ، ودون احترام لأوامر أولئك الذين يولونه القضاء .

ثم هى فى الوقت نفسه تشير الى أثر الاقليمية فى التفكير فاهل العراق هنا لهم قول يذكر على أنه قول اهل العراق .

***

والنتيجة لكل هذا . أن الفقهاء يفكرون بعيدا عن الواقع العملى ، وعن التنظيمات التى يجب أن يقوم عليها التعامل ، وتبنى الدولة عليها أساس الحياة العملية فيها .

انهم كما قلت فى صدر هذا المقال يشبهون أساتذة كليات الحقوق فى دراساتهم وبحوثهم وتعليمهم للطلاب .

اما الجانب العملى من الحياة ، والذى تقوم عليه هيئة قانونية أخرى كمجلس الدولة فقد كانوا بعيدين عنه .

ان الذين اقتربوا من هذا الميدان هم الذين تولوا القضاء من الفقهاء ، ونحن نعلم جميعا أن الكثيرين من أصحاب المذاهب وتلاميذهم كانوا يعزفون عن تولى القضاء .

انهم فى موقفهم ذاك كانوا يعزلون أنفسهم عن الواقع العملى للحياة .

ان التنظيمات الاسلامية التى يجب أن نرجع اليها انما تكون فى كتب التاريخ ، وكتب الحضارات ، وليس أبدا فى كتب الفقهاء .

دكتور محمد احمد خلف الله

الدعوة إلى التحرير الزيني

محمد محمد المدني

- ٦ -

اشار السيد الدكتور **محمد احمد خلف الله**، فى بعض ما كتبه، الى نظرية الامام الطوفى الحنبلى التى تقول بتقديم المصلحة على النص والاجماع .

ونريد أن نضع بين أيدى القراء خلاصة لهذه النظرية، قبل أن نبدى رأينا فيها وفى مدى التعويل عليها :

● ان نظرية الامام الطوفى الحنبلى قائمة على اعتبار ان رعاية المصلحة من مقاصد الشرع، وان جميع أدلة التشريع فى جانب المعاملات مقيدة بها، وأنه اذا بدا مظهر من مظاهر التعارض بين المصلحة ودليل آخر، فانما هو تعارض بين دليلين شرعيين، ومثل هذا يؤخذ على أنه تعارض ظاهرى، لأن مقاصد الشرع لا تتعارض، وأدلته لا تتناقض أبدا، غير أننا مطالبون بالجمع بين ما ظاهرهما التعارض، فان لم نستطع الجمع كان علينا أن نرجح الراجح منهما، وهو المصلحة - فى نظر الطوفى - لكن تقديمها عنده ليس نسخا للنص ولا وقفا للعمل به، ولا اهدارا للاجماع، لأنه يقول فى رسالته ما نصه :

« وان خالفاها - يريد النص والاجماع - وجب تقديم المصلحة عليهما بطريق التخصيص والبيان لهما، لا بطريق الافتيات عليهما، والتعطيل لهما، كما تقدم السنة على القرآن بطريق البيان » .

ومن هذا يتبين أن الامام الطوفى يقرر ما خلاصته :

١ - أن المصلحة دليل من أدلة الشرع .

٢ - وأنها حين تقدم على غيرها من الأدلة الشرعية - وعلى النص والاجماع بالذات - لايكون ذلك بطريق الافتيات عليهما والتعطيل لهما، ومعنى ذلك قطعا أنه ليس على سبيل النسخ الذى هو « الافتيات » بالابطال ورفع الحكم المنصوص، ولا على سبيل وقف النص الذى هو « التعطيل » .

٣ - وان هذا التقديم انما هو عن طريق التخصيص والبيان لهما، كشأن السنة فى بيان القرآن .

٤ - وان هذا التقديم لا يعد تركا لأدلة الشرع بغيرها، وانما هو ترك دليل شرعى الى دليل شرعى أقوى منه .

هذه هى نظرية الطوفى، التى أشار اليها الدكتور خلف الله وعززها بما نقله عن المغفور له الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار من أنها أبعد مدى من نظرية « المصالح المرسلة » التى تنسب الى امامنا مالك رضى الله عنه، وهى فى الواقع حجة عند كثير من الفقهاء غير مالك .

● ونظرية (**المصالح المرسلة**) نظرية دقيقة قد يلتبس أمرها على كثير من الناس، وجملة القول فيها ان المصالح ثلاثة أقسام :

١ - قسم شهد الشرع باعتباره، وهذا هو القياس، كما نستفيد تحريم النبيذ المسكر من تحريم الخمر المنصوص عليه بالكتاب والسنة، ذلك

التحريم المعلل بمصلحة راعاها الشارع ، وهى حماية العقل من الغيبوبة .

٢ - وقسم شهد الشرع ببطلانه ، أى أنه ربما كان فيه مصلحة ، ولكن الشارع لم يعتد بها ، ولم يشرع حكمه على مراعاتها .

وقد مثلوا له بما حكاه الغزالى فى « المستصفى » من أن بعض العلماء قال لبعض الملوك لما جامع فى نهار رمضان : ان عليك صوم شهرين متتابعين كفارة لذلك ، فلما أنكر عليه بعض العارفين بالحكم الشرعى حيث لم يأمره باعتاق رقبة مع اتساع ماله - على الترتيب المقرر بالحديث المعروف، الذى يجعل الكفارة أولا عتق رقبة ، فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا فان لم يستطع فصيام شهرين متتابعين - .. لما أنكر عليه بعضهم بذلك قال : لو أمرته بذلك لسهل عليه واستحقر اعتاق رقبة فى جنب قضاء شهوته ، فكانت المصلحة فى ايجاب الصوم لينزجر به .

فهناك مصلحة راعاها هذا المفتى للملك ، ولكن الشارع لم يراعها ، بل شهد نصه بعدم الاعتداد بها ، أو لعله راعى ماهو أعظم منها وأحب اليه، وهو مصلحة اعتاق رقبة ، لتشوفه الى الحرية ، فجعلها مقدمة على الصوم والاطعام .

ولذلك عابوا هذه الفتوى وقالوا : انها باطلة لمخالفتها للنص بالمصلحة المدعاة ، وهذا يؤدى الى تغيير جميع حدود الشرائع ونصوصها ، ثم اذا عرف ذلك من صنيع العلماء لم تحصل الثقة بفتاواهم ، ويصبح العلماء كالرهبان الذين يحلون ويحرمون للناس تبعا لما يرون .

٣ - وقسم لم يشهد له الشرع باعتبار معين ، ولم يرد فيه ما يدل على ابطاله والغائه ، فان كان مما يقع فى رتبة « الضروريات » الخمس التى عرف من الشارع الالتفات اليها ، وهى حفظ الدين ، والعقل ، والمال ، والنفس ، والنسل ، فذهب مالك وبعض الفقهاء الى أن هذه المصلحة حجة ، لانا قد علمنا أن ذلك من مقاصد الشرع ، فيسمى « مصلحة مرسلة » اى مطلقة عن اعتبارها بالتعيين ، وعن ردها والغائها .

ومثلوا لها بما فعله الصحابة رضى الله عنهم من جمع المصحف وكتابته ، وليس ثمة نص على ذلك ، بل قد قال بعضهم كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجيبوا بان ذلك خير قال الامام الشاطبى فى الاعتصام (ص ٢٩٠ ج٢) :

« ولم يرد نص عن النبى صلى الله عليه وسلم بما صنعوا فى ذلك ، ولكنهم رأوه مصلحة تناسب تصرفات الشرع قطعا ، فان ذلك راجع الى حفظ الشريعة ، والامر بحفظها معلوم ، والى منع الذريعة - المؤدية - للاختلاف فى أصلها الذى هو القرآن ، وقد علم النهى عن الاختلاف فى ذلك بما لا مزيد عليه » .

وقال بعض العلماء زيادة فى بيان ذلك : « وقد سمى الله القرآن كتابا ، فافاد ذلك وجوب كتابته كله ، ولذلك اتخذ النبى كتابا الوحى ، وتفريق الصحف المكتوبة لا يعقل ان يكون مطلوبا للشارع حتى يحتاج جمعها الى دليل خاص ، ولم يأمر النبى صلى الله عليه وسلم بجمعها فى حياته لاحتمال المزيد فى كل سورة مادام حيا » (راجع هامش الصفحة المشار اليها فى المصدر السابق)

● فاذا تاملنا نظرية الطوفى بتقديم المصلحة على النص والاجماع ، موازنين بينها وبين نظرية « المصالح المرسلة » التى يقول بها مالك وبعض الفقهاء ، وجدنا فرقا هائلا بينهما : فالطوفى يجعل المصلحة مقدمة ومحكمة فى النص مع قيامه ، على اعتبار أن النص مخصص بها ، والقائلون بالمصالح المرسلة يجعلونها فى نطاق مالم يرد به نص من الشارع ، ولم يعلم عنه اعتباره أو الغاؤه على التعيين ، ولكن عرف من مقاصده أنه يعتبر جنسه .

ولذلك تبدو نظرية « المصالح المرسلة » نظرية محافظة حذرة ، وتبدو نظرية الطوفى نظرية جريئة الى حد بعيد ، وان حاول صاحبها أن يجعل تقديم المصلحة من باب ترجيح دليل شرعى على دليل شرعى آخر ، أو من باب تخصيص النص وتبيينه .

واذا كان بعض علماء السلف قد وقفوا من نظرية المصالح المرسلة موقف الحذر ، وكان القائلون بها انفسهم قد شددوا فى شروطها وقيدوا مفهومها وموضوعها بكثير من القيود ، فان نظرية الطوفى قد لقيت معارضة شديدة ، وبقيت فى طى الاهمال كنظرية قال بها صاحبها ولم يوافقه اهل العلم عليها .

ذلك بأن النص اذا ثبت وكانت دلالته على الحكم واضحة ، هو الذى يجب أن يقبل حكمه فيما يعد مصلحة ، اى اننا لو راينا نصا مفيدا لحكم ، ثم راينا ما يعد فى نظرنا مصلحة تعاكس هذا النص ، فاننا نقول : ان تقديرنا لهذه المصلحة لابد ان يكون قد اتصل به نوع من الخلل والفساد ، أو أن هناك مصلحة أعظم راعاها الشارع من وراء النص وخفيت

علينا ، فنتهم تقديرنا ولانتهم النصوص ، وبذلك يكون النص حاكما لا محكوما عليه ، وتكون المصلحة محكومة بالنص لا حاكمة ، وتصان الشريعة عن الهرج والمرج ، بسبب الاختلاف فيما هو مصلحة أو غير مصلحة ، وعن الفوضى والتلاعب حسب الأهواء واجتراء المجترئين .

على ان نظرية الطوق ، لو كانت حقا وصوابا ، لما افادت ماذهب اليه القائلون بوقف النصوص او ابطال حكمها ، كما يتبين مما قدمنا ، فشتان بين تخصيص النص او بيانه بالمصلحة ، والافتيات عليه بنسخه او بتعطيله وسلب سلطته .

● وينبغي الا يغيب عن البال ابدا : ان هناك فرقا بين ماورد به النص الشرعي في كتاب الله وسنة رسوله ، ومالم يذكر فيهما فاعتبر من « العفو » أخذا من قوله تعالى « عفا الله عنها » وعرف « بالمسكوت عنه أخذا من قوله صلى الله عليه وسلم « ... وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها »

فالاول يكون الاجتهاد فيه قاصرا على فهمه وتطبيق حكمه وما يؤخذ منه من قواعد .

والثاني يكون الاجتهاد فيه بالبحث عن المصلحة والرأي الرشيد دون مصادمة لنص في كتاب او سنة او قاعدة قطعية .

● وبيننا وبين السيد الدكتور **خلف الله** نقطة وفاق هامة ، هي ان الاصل في المعاملات الاباحة حتى يثبت عن الشارع ابطال شيء او تحريمه .

وهذا المبدأ هو ما عليه جمهور العلماء ، وقد خالف فيه بعض المتاخرين ، وجعلوا الاصل في ذلك البطلان اذا لم يقم عندهم دليل على الصحة ، فأفسدوا بذلك كثيرا من عقود الناس ومعاملاتهم وشروطهم بلا برهان من الشرع .

وقد جاء الاسلام وللناس عقود ومعاملات وشروط ، فأبقى منها ما ابقى ، وحذف ما حذف ، وعدل ما عدل ، كل ذلك على حسب مثله ومبادئه التي جاء بها ، فكل ما تمشى من المعاملات مع هذه المثل والمبادىء ، فلم يكن فيه غبن ولا استغلال ولا جهالة مفضية الى النزاع .. الى غير ذلك ، ابقاه ، وكل ما خالف ذلك مخالفة واضحة الغاه . وما تردد بين هذا أو ذاك نظر اليه ، فما كان قريبا من الصلاح ابقاه وعدله ، وما كان قريبا من الفساد ابطله ، فالشارع لم يقل : ان الحلال في المعاملات والشروط والعقود ما شرعته وانشاته ، ولكن قال : ان عرضت لشيء من معاملاتكم وعقودكم وشروطكم بالغاء او تعديل فهذا هو شرعي وامري ونهيي ، ومالم اعرض له من ذلك فانما تركته وجعلته عفوا ، اقرارا لتعاملكم به ، واباحة له .

وهذا شان غير شان العبادات ، فان الاصل فيها عدم المشروعية حتى يتبين انها مشروعه ، فلا يجوز لنا أن نعبد الله بعبادة ، أو نتقرب اليه بقربة ، الا اذا علمنا مشروعية هذه العبادة وهذه القربة .

وفي هذا وذاك يقول العلامة ابن قيم الجوزية في ص ٣٤ج٢ من كتابه « **اعلام الموقعين** » **ما نصه :**

« الاصل في العبادات البطلان حتى يقوم دليل على الامر ، والاصل في العقود والمعاملات الصحة حتى يقوم دليل على البطلان والتحريم ، والفرق بينهما ان الله سبحانه وتعالى لا يعبد الا بما شرعه على السنة رسله ، فان العبادة حقه على عباده ، وحقه الذي احقه هو ورضي بهوشرعه ، واما العقود والشروط والمعاملات فهو عفو حتى يحرمها الله ، ولهذا نعى الله سبحانه على المشركين مخالفة هذين الأصلين ، وهوتحريم مالم يحرمه ، والتقرب اليه بما لم يشرعه ، وهو سبحانه لو سكت عن اباحة ذلك وتحريمه، لكان ذلك عفوا لايجوز الحكم بتحريمه وابطاله ، فان الحلال ما احله الله ، والحرام ما حرمه الله ، وماسكت عنه فهو عفو ، فكل شرط وعقد ومعاملة سكت عنها ، فانه لايجوز القول بتحريمها ، فانه سكت عنها رحمة منه من غير نسيان واهمال » .

وقد وفى الامام العلامة ابن القيم هذا الموضوع حقه ، فمن شاء فليرجع اليه .

واننا نستطيع أن نرسم على ضوء هذا المبدا منهجا فقهيا سليما في دراسة « **المعاملات الحديثة** » يقوم على دعامات ثلاث :

الدعامة الاولى : ان من حق المجتمع الاسلامي ان يبتكر ما شاء من الوان المعاملات ، وان يجاري النشاط الاقتصادي العالمي بالمساهمة فيه حسب الطرق الحديثة دون تحرج ، فان الله لم يوجب على الناس انيلتزموا صورا خاصة من المعاملات لا يتجاوزونها ، وليست الصور التي يبحثها اهل الفقه والحديث الا الوانا من المعاملات يمكن أن يضاف اليها ويحذف منها ويعدل فيها في ظل اصول الشريعة .

والمسلمون اذا عرفوا ذلك وعملوا بمقتضاه يدفعون عن انفسهم ودينهم تهمة طالما اخلد اليها الاجانب

الدورة الخامسة لمؤتمر الأدباء العرب

• للدكتور محمد مندور •

اخذت فكرة استئناف دورات مؤتمر ادباءالعرب تخطو نحو التنفيذ وذلك على ان تعقد هذه الدورة فى بغداد قبل نهاية هذا العام ، وبالفعل طار الى بغداد الأستاذان محمد عبد الحليم عبد الله ويوسف الشارونى موفدين من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب الى بغداد للاشتراك فى اللجنة التحضيرية التى ستجتمع هناك لدراسة تنظيم هذه الدورة وللاتفاق على موضوعات الابحاث والمناقشات التى ستجرى فيها وكل ذلك بعد ان كانت تلك الدورات التى ابتدات منذ سنة ١٩٥٥ قد توقفت على اثر الخلافات التىحالت دون نجاح الدورة الرابعة التى انعقدت فى الكويت سنة ١٩٥٨ ، وذلك نتيجة للخلافات السياسية التى كانت ناشبة عندئذ بين اجزاء من الشعوب العربية ، واعادة التفكير فى استئناف هذه الدورات فى عامنا الحاضر يدل على ان الجو العربى العام قد اصبح اكثر نقاء على اثر ماأحرزه مؤتمر القمة العربى الاول بالقاهرة والثانى بالاسكندرية من نجاح كبير فى لم الشمل وتوحيد الكلمة حول عدد كبير من القضايا العربية الكبرى وفى طليعتها قضية فلسطين العزيزة على كل قلب عربى .

وما ان احس ادباء العرب بأن فكرة استئناف دورات مؤتمرهم قد تأكدت واخذت تخطو نحو التنفيذ حتى نشطت اقلامهم للفت الانظار الى المشكلات الادبية والفكرية واللغوية الكبيرة التى تشغلهم والتى يقترحون أن تناقش فى الدورة المقبلة .

ومن اهم القضايا التى يقترح الادباء مناقشتها قضية اللغة وازدواجها فى عالمنا العربى الحاضر بين اللغة الفصحى التى يستخدمها ويفهمها الجميع وبين اللهجات المحلية التى يفضلها عدد كبير من الادباء فى انواع معينة من الأدب مثل الحوار سواء أكان هذا الحوار فى المسرحيات ام فى داخل القصص والروايات ، بل أدت التطورات الاجتماعية الواسعة فى عدد من البلاد العربية الرائدة الى تشجيع مخاطبة الشعوب باللغة التى تفهمها . ولما كانت الأمية والجهل باللغة الفصحى لايزالان

والمغرورون بهم ،فانهم يقولون : ان الشريعة الاسلامية تمنع المؤمنين بها من مجاراة عالم الاقتصاد الحديث ، وتوجب عليهم ان يظلوا على اساليبهم القديمة فى التجارة ، وفى شروط الشركات المعقدة التى ضيق بها المتاخرون من الفقهاء على الناس ، وما دام المسلمون يرون هذا دينا واجب الاتباع ، فسيبقون عاجزين عن مجاراة الاساليب الحديثة . تابعين وراء أساليب القرون الخالية .

الدعامة الثانية : ان الأصل فى المعاملات الاباحة، فلا يجوز ان نسارع الى تحريم صورة من صور المعاملات حتى يتبين أن الله حرمها .

الدعامة الثالثة : ان اشتمال المعاملة على ناحية من نواحى المنع والتحريم لا يكفى فى القول بتحريمها بل لابد من دراسة هذه الناحية ودراسة حال الناس فى شأنها ، ومدى ما تشتمل عليه من منفعة او مضرة ، فقد يظهر أن منفعتها غالبة على مضرتها ويمكن تنقيحها وتهذيبها ، او ان مضرتها من النوع الذى لا يؤثر فى اعتبار الشرع جريا على قاعدة التيسير ورفع الحرج، فيسلك بها مسلك الترخيص كما فعل المشرع فى امثالها وان لم يكن قد ورد نص بالترخيص فيها بالذات .

بهذا المنهج نستطيع ان نتوسع فى حدود ما أذن الله به ، وان نيسر على الناس ، وأن نعيد الشريعة الى مجال التعامل والاقتصاد بعد ان نحيت عن هذا المجال منذ جمد المتاخرون . « وللبحث بقية »

محمد محمد المدنى

متفشيان بين الطبقـــات الشعبية لان حاجات التطور قد استدعت تفضيل اللهجات المحلية فى التعبير عن حاجات الشـــعب وتطلعاته ومخاطبة جماهيره ، ومن هنا برز الاهتمام بالآداب الشعبية وتشجيعها وانشاء المراكز والمعاهد الخاصة بها . كما رأينا الصحف والمجلات تفسح صدرها للزجل الشـعبى والشعر المكتوب بالعـامية فضـلا عن الأغانى والمواويل وما اليها ، وهذا الوضع قد يظن البعض انه موقوت ، وان انتشار التعليم سيقضى عليه بتوحيد لغة الادب مع لغة الحياة فى الفصحى، ولكننى استنادا الى ماحدث فى لغات العالم الأخرى وتاريخها لا اتوقع هذا التطور فستظل لغة الحياة اليومية مختلفة عن لغة الكتابة الادبية على نحو ماهو حادث اليوم فى اللغات الكبيرة الموحد كالفرنسية أو الانجليزية حيث تجـد الى جوار لغة الكتابة لهجة اخرى للحياة تختلف عن لغة الكتابة فى عدد كبير من الالفاظ والتراكيب والصور ونبرات النطق ، ولذلك تسمى لهجة التخاطب فى الأحياء الشعبية بباريس مثلا باسم خاص هو « الأرجو » كما تسمى لهجة الشعب الانجليزى فى لندن « الســلانج » أو « الكوكنى » . **وكل مافى الأمر هو أن القضاء على الأمية فى تلك البلاد قد مكن جميع افراد الشعب من قراءة وفهم لغة الكتابة ، فالحياة الشعبية قوة مبتكرة خلاقة لا بد أن تجدد باستمرار فى لغتها عن طريق الصـور والمجـازات . وأن تلون تعبيرهـا بتجديد مستمر فى نبرات الأصوات اللغوية .**

ومع ذلك فانه اذا كانت الشعوب الأوروبية قد استطاعت ان تطور لغتها الأصلية الموحدة وهى اللاتينية حتى تصل الى حد تحويل لهجاتها المحلية الى لغــات أدبية عالمية كالفرنســية والايطالية والاسبانية والرومانية المتفرعة كلهـا عن اللاتينية فاننى لا أعتقد أن الشعوب العربية تسير نحو نفس المصير ، ذلك لان هذا الاتجاه يتعارض مع وجدانها وارادتها ، فهى تسير بعزم وتصميم نحو الوحدة التى تعتبر اللغة اساسها المتين ، وذلك بينما كانت تحس الشعوب الأوروبية بأن اللغة اللاتينية قد فرضها عليها حكام الامبراطورية الرومانية القديمة ولا ادل على ذلك من انه لم تكد تظهر فكرة القوميات ابتداء من عصر النهضة الاوروبية فى القرن الخامس عشر الميلادى حتى رأينا كل شـعب أوروبى من الشعوب المسماة بالشعوب اللاتينية يلتف حول لهجته المحلية التى رفعها كراية لقوميته الخاصـة ولا تقتصر هذه الحقيقة التـاريخية على الشعوب اللاتينيـة وتطورها ، بل تنطبق ايضـا على تاريخ جميع اللغات العالمية التى تفرعت عن اصول واحدة كاللغات الجرمانية والصـقلبية فضلا عن تطـور اللغات الكلية عن اصولها الأقدم كتطور الاندواوربية الى مجموعة اللغات التى لا تزال حتى اليوم تحمل نفس الاسم ، وكذلك اللغات الســامية واللغات الحامية ففى تفرعها كلها الى لغات ادبية لعب مبدأ القوميات دورا حاسما فى هذا التطور .

وتأسيسا على كل هذه الحقائق نستطيع ان نؤكد فى اطمئنان ان فكرة الوحدة العربيـة وارادة تلك الوحدة ستكون من اقوى العوامل فى عدم اتخـاذ اللهجات المحلية العربيـة لغات للكتابة والتعبـير الادبى والثقافى ، وعلى العكس من ذلك ستضيق حتما المسافة التى تبتعـد باللهجات المحليـة عن اللغة الفصحى . وأما الزعم بامكان توحيد لغة الكتابة ولغة الحياة فباطل تنفيه جميع الدراسات اللغوية فى العالم واوضاع اللغات العالمية الموحـدة وما يثبته كل ذلك من حقائق علمية لا شك فيها.

هذه هى الحقائق العلمية التى يجب ان نستند اليها فى فهم قضية ازدواج اللغة فى أدبنا العربى المعاصر . ومن الواجب ان نذكر ان فهم القضـية هو المقدمة الضرورية لتـدبير وسـائل علاجها والا تخبطنا فى سياستنا اللغوية وضربنا فى غير مضرب فلا نستمع مثلا الى من يدعو الى التخلى عن الاعراب كوسيلة للتقريب بين لغـة الكتابة ولغة الحياة ، فالاعراب فى لغة الكتابة ليس حلية لفظية ، بل هو الوسيلة اللغوية الأصيلة فى التعبير عن العلاقات المختلفة ، وما اللغة فى النهاية الا اداة التعبير عن هذه العلاقات ، وحذف الاعراب معنـاه رص الفاظ مسكنة بعضها الى جوار بعض دون تزويد نهاياتها بالاعراب الذى هو الوسيلة التى تحدد العلاقـة بين هذه الألفاظ كعلاقة الفاعلية او المفعوليـة أو الحالية او الوصفية أو الاضافة وما اليها. ولما كان من الثابت علميا ان لغة الكلام لن تتحد مع لغـة الكتابة فى كافة تفصيلاتها فانه من العبث والوهم الدعوة الى حذف الاعراب مثلا او تبسيطه كمحاولة للتقريب بين اللغتين .

هذا ومن الممكن القيـاس على هـذه المقترحات الاخرى فما يتفق منها مع الحقائق العلمية الثابتة تمكن مناقشـته مناقشة مثمرة وأما ما يتعارض منها مع حقائق العلم وقوانينه التى لا تقهر فمن الافضل تجنبه والاعراض عنه حتى لا يضيع وقت اعضاء المؤتمر سدى .

د. محمد مندور

نظرات في الشعر العراقي المعاصر

أصداء العقيدة القومية في شعر عاتكة

للدكتور بدوي طبانة

في ختام كلمتنا السابقة اشارة الى دار الراهبات او دير الراهبات الذى كانت تلجأ اليه شاعرة الحرمان كلما شخصت الى القاهرة في السنوات الاخيرة طالبة للجمام أو لتحصيل علم ، او طبع ديوان .

ولا اعرف علة لذلك اللجوء الى الدير والمقام فيه الا شدة حفاظ **عاتكة** على نفسها ، وحرصها على حماية كرامتها من ألسنة الناس اذا رأوها تنزل وحيدة حيث ينزل الناس .. فلعلها رأت ان في نزولها في ذلك الدير بين النسوة القانتات ما يدفع عنها خبث الظنون وضراوة الالسنة .

ولا اعتقد ان هناك سببا آخر يدفع عاتكة الى ايثار ما آثرت لنفسها ، وما اختارت لمقامها ، فان عاتكة مسلمة تعتد بدينها ، وتعتز بعقيدتها ، ولا احد دليلا على ذلك اقوى مما قالته في تلك الابيات التى وردت في جوابها على قصيدة الشاعر الكبير الاستاذ عزيز اباظة ، وقالت فيها :

انا يا مولاى بنت الصيد والغر الأباة
بنت ذاك القانت الحر الكريم الخلوات
من يقيم الليل بالذكر ووجس الصلوات
خاشعا لله في المحراب .. بر الدعوات
وابى ما مات بل عاش بسمتى وسماتى
انا ذاك القانت البر بجلباب فتاة
رب ميت عاش أوحى بأثواب موات !

وكأنها تقول للشاعر الكبير في هذه الابيات لا تخش على ذلك المقام ، فانى عريقة في التقوى نسلت من مسلمين عابدين قانتين !

وفي « **انفاس السحر** » شعر كثير ، يظهر اصالة الروح الدينية ، وصدق العاطفة الاسلامية ، وحق لشاعرة العواطف أن يفيض شعرها بالتعبير عن العقيدة الصادقة ، التى رضعت لبانها وربيت في محرابها ، وذلك على الرغم من العصر الذى فشت فيه الضلالة والالحاد ، واخذ فيه المنحرفون يجهرون بالمعاصى ، ويصفون بالرجعية كل حفيظ على دينه ، مصر على عقيدته ، وكانوا كما وصفتهم عاتكة في قصيدتها « **صراخ الظلم** » في قولها :

اناس تلاهوا بالضلال عن الهدى
فليس بهم الا كفور ومفسد
فهذا سعى في الارض سعى مضلل
وذاك بدين الحق يهزأ ويلحد
تراه وراء الفلس يجرى مهرولا
ولكنه عن دينه الدهر مقعد

وبعد أن تعدد عاتكة آثامهم ومظاهر فجورهم وغرقهم في بحار المعاصى والشهوات ، تتساءل كيف يتوقع من احد أولئك العصاة ايمان ، او ان يتوقع منه هدى بعد المعصية والالحاد :

ايوقن بالقرآن وهو خرافة
لديه ، وبالاسلام وهو تقيد ؟

ايشهد ان البعث حق وعقله
لاول من يابى القبول ويجحد ؟
فيا ويحه من جاهل ضل سعيه
فليس له امس وليس له غد !

وترسم الشاعرة بعد ذلك طريق الخلاص من القيود والبرء من الادوار التى اصابت البلاد فاقعدتها عن النهوض ، ولا طريق عندها غير طريق الدين يبعث خمودها ويحيي مواتها ، والرجوع الى تعاليم الاسلام ، واحياء شريعة محمد هو وحده سبيل النهوض من العثار ، وطريق البرء من الأدواء :

بلادكم يا قوم امست عليلة
ترجى دنو البرء ، والبرء يبعد
وانى لها والداء ينخر قلبها
وابناؤها فى قتلها اليوم تجهد
تمنيت أن لو عاد فينا محمد
اذن لأتى بعد الضلالة مرشد

فيا قوم ان مات النبى فحية
شرائعه وهى التراث المخلد
فعودوا الى ايمانكم بعد ضلة
فعودكم للحق يا قوم احمد !

تلك بعض المشاعر التى عبرت عنها عائكة نحو دينها وعقيدتها ، وهى تكشف عن عاطفة شديدة نحو الاسلام ، وحنين ملتهب الى استعادة امجاده وسيادة تشريعاته واحكامه ، وحب عميق لصاحب الرسالة ، وقد نثرت عائكة هذه العواطف فى قصيدة واحدة تئن فيها من الظلم والظالمين ، وتصف فيها نزقهم وغرورهم . .وسار بها قلبها نحو تلك المعانى السامية التى مجدت بها محمدا ورسالته .

ولكن القارىء لانفاس السحر لن يعثر بتلك المواطف الدينية الهادرة منثورة فى ثنايا بعض القصائد فحسب ، بل انه سيظفر الى جانبها بقصائد كاملة شحنتها عائكة بتلك العواطف السامية وصبتها فى قالب بديع من الشعر الرائق الرقيق ، حتى لتحس وانت تقرؤها انك تردد مناجاة عذبة ، تحس فيها بأثر الوجد والهيام ، ومن تلك القصائد الخالصة قصيدتها « الى يثرب » التى تستهلها بهذه الابيات :

هبيني جناحا كى أطير ليثرب
عسانى أداوى ما بقلبى المعذب
حمامة هذا الدوح رفقا بخافق
يحن لترب عاطر الروح طيب
يلج به شوق ويحدو به الهوى
وتغرى به النكباء فى كل مذهب
حمامة هذا الدوح ردى لى المنى
بلقيا حبيب فى التراب مغيب
والا فداوى القلب من نفح طيبة
فان دواء القلب نفح المحبب

ثم تصبح تلك الامانى فى الدنو من البقاع الطاهرة التى ثوى بها قبر الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ماثلة لا أمام عينيها ، بل أمام قلبها الشيق الملتاع الذى استبد به الهوى فصور الحلم الزكى والخيال المشرق البهى حقيقة شاخصة تغمر قلبها ، او كان روحها قد أسرى بها فى حلك الدجى الى تلك الديار ، فطافت بتلك المعاهد . وقد صورت الشاعرة تلك المشاعر والرؤى فى قولها :

وهاج بقلبى الحب حين بدت له
على كثب هفافة نخل يثرب
ولاح له قبر النبى محمد
كلألاء نور فى دجنة غيهب
فقلت لقلبى بالقصيد ابعث الهوى
وقلت لعينى بالمدامع أعربى
ففاض قصيد القلب حتى حسبته
سيولا وكان الدمع أفصح معرب

ولا تدع الشاعرة تلك الفرصة التى جسدها الوهم والاستغراق فأصبحت حقيقة ماثلة أمامها من غير أن تعطف على أمتها ،ومن غير أن تشكو الى الرسول ما آل اليه حالها من الضعف والسكوت على الضيم ، والانشغال بسفاسف الامور وتوافه الاعمال عن السعى لتحصيل المكارم وبناء الأمجاد وفى موازنة سريعة بين هذه الامة فى لهوها وغيرها من الامم الجادة فى حياتها ، تبدو غيرة الشاعرة وأساها على أمتها المتخلفة عن ركب الحياة :

تلاهت عن القرآن بالعزف والغنا
وبالرقص والايقاع عن كل مارب
وعادت بيوت الله خلوا وأصبحت
مراقصها ملأى بكهل واشيب
واصبح فيها المال عنوان سؤدد
فطار بمثر حين ألوى بمترب
واصبح فيها الظلم يحكم آمرا
بسجن برىء أو باطلاق مذنب

ولا تنسى الغرب فى هذا المقام ، فتشير الى استفحال الخصام ، والى سفك الدماء ، والى شن الحروب ، وتدمير المدنيات ، وكأنها ترى السبيل الى صلاح الشرق والى صلاح الغرب واحدة، وهى الرجوع الى الله ، والاعتصام بحبل الدين ، فى اشارة الى عموم الرسالة ، لانها رسالة الهدى والنور ·

أمولاى هذا عالم ضل واغتدى
يخبط فى بيداء فى جوف غيهب
فمد له من نور هديك شعلة
فأنت منار العالمين ويعرب

وهكذا أعربت عاتكة عن عاطفتها الدينية فى قوة وحرارة ظاهرة ، كما أعربت عن مشاعر التقديس لرسالة الاسلام الخالدة وصاحبها ·

ومن اليسير الاهتداء الى معالم تلك النزعة الدينية ومظاهرها فى كثير من قصائد (أنفاس السحر) مستقلة أو منثورة بين أبياتها ·

وتتصل العاطفة الدينية بالعاطفة الوطنية أو العاطفة القومية فى نفس عاتكة اتصالا شديدا ، ويبدو اتصال شعورها نحو وطنها وامتها بشعورها نحو دينها وعقيدتها فى كثير من قصائدها التى عبرت فيها عن أماني الامة العربية أو عن أمانيها فى خلاص تلك الامة من اغلالها أو تحريرها من مستعمريها أو من آفاتها وعللها ، وكذلك فى الشعر الذى مجدت به الشاعرة نصرا عربيا جديدا ، أو عملا قوميا مجيدا ، حتى ليبدو شعورها القومى ، بشعورها الدينى فى نفسها وفى شعرها وكأنهما توأمان ، أو كأنهما روحان تتنازعان جسدا واحدا ·

وانك لواجد هذا الاتصال فى قصيدتها « **عيد العرب** » وهى فى جملتها من القصائد التى تستنفر فيها الامة العربية وتستثير حميتها، وتستحث العرب على اللحاق بأمجاد أسلافهم ، وتدعوهم الى الوحدة ، التى تنهضهم من عثارهم ، وترغم أنف عدوهم ، ان عاتكة تستفتح هذه القصيدة الحماسية المياشة بالامانى بعاطفة اسلامية تفيض حرارة وايمانا :

يا راية الاسلام عودى ، رفافة فوق البنود
رفى على هام السحاب ، ورتلى آى الخلود
سودى المشارق والمغارب فالكرامة أن تسودى
خطى على لوح الزمان حروف ماضيك المجيد
سيرى على هدى الاباة وواكبى ركب الجدود
لا تجحدى ماضيك فالتاريخ يزرى بالجحود
يا صفحة املت على الايام معجزة الوجود

وانك لواجد اتصال العاطفتين أيضا فى قصيدة أخرى من قصائدها الوطنية الثائرة التى تدعو فيها الى توحيد الجهود ولم شتات العرب ، وترى أن ذلك هو السبيل الى استعادة المجد الذاهب ، واسترداد فلسطين المغتصبة ، وكبح جماح الصهيونية والاستعمار وهى قصيدتها البائية التى تقول فيها :

وحدوا الصف ولا تنقسموا
وانحروا يا قوم كبد الأجنبى
وثبوا وثبة ليث خادر
نبهته سطوة المغتصب
هذه صهيون من حول الحمى
نصبت أشراكها من كثب
واستعانت بعدو لكم
أعوج الناب جديد المخلب
اقهروا صهيون ردوا كيدها
واركبوا للمجد أغلى مركب

لقد بدات الشاعرة تلك القصيدة الثائرة بروح اسلامية عالية ، جعلت فيها العقيدة ، وتعاليم الاسلام وأحكام القرآن الكريم دستور هذه الامة ، وفى مقدمة مقوماتها ، وجعلت محمدا عليه الصلاة والسلام رائدها فى طريق المجد والفلاح ، وقدوتها فى العمل والسلوك ، اذ تقول فى أولها :

وضح الصبح لدنيا العرب
وتجلى كسنى من لهب
يا بناة المجد يا أسد الحمى
يا كرام الجند من كل أبى
انها الايام تعنو لكم
وعليها خيرة المرتقب
علموا الايام أنا أمة
تنقل الخطو على وحى نبى
تستمد الهدى من قرآنه
سورا مكتوبة بالذهب
وترى الموت لذيذ المجتنى
ان دعا داعى القنا والقضب
وتخط العز فى تاريخها
بدماء الشهداء النجب

والى جانب تلك النزعات الدينية التى نقرؤهـا فى قصائد مستقلة حينا وممتزجة بالعواطف القومية حينا نقرا لعاتكة فى «انفاس السحر» شعرا كثيرا عبرت به عن مشاعر العروبة نحو أمانى الأمةالعربية فى العزة والكرامة ، وفى تمجيد روح الجهاد ، وفى الاشادة بالبطولات التى تبرزها بعض الاحداث فى بعض أجزاء الوطن العربى .

واذ كان كفاح الشعب العربى فى الجزائر احدى الصور المثيرة المشرقة فى تاريخ العرب المعاصر ، واذا كانت روح التضحية والفداء ، وارخاص المهج والدماء قد برزت فى تلك الصورة الرائعة التى تشبه أن تكون أسطورة من الاساطير فجرت ينابيع الشاعرية عند عدد كبير من شعراء العربية وكتابها فى كل مكان، فقد أخذت تلك الصورة شيئا من حظها فى شعر عاتكة العذب وبيانها المشرق الممتنع كالذى نقرؤه فى قولها من قصيدتها **«من وحى الجزائر»** .

تفديك يا أرض الجزائر ، مفتونة بين الشواعر
افدى الجباه السمر والغرر المكللة الظوافر
افدى الرءوس الشم تعليها على الدهر المفـاخر
افدى النفوس العاصفات حفرن للظلم المقابر
ورفعن خفاقا أغر منـورا علم الجزائر
بوركت يا شعب الجزائر وبقيت رمزا للمآثر
فيك العروبة كلها ، سبقت أوائلها الأواخر

ولم تنس عاتكة وهى فى معرض الاشادة ببلدها، والمباهاة بامجاده التليدة والطريفة أن تشيد بكفاح الشعب العربى فى الجزائر ، وما ابرز من بطولات ، وما حقق من انتصارات على الغزاة والمستعمرين .

وأن ترى فى مفاخره مفاخرالعروبة، وفى انتصاراته مايدنى الامل القريب فى استخلاص فلسطين العربية من أيدى الصهاينة الدخلاء ، فتقول فى قصيدتهـا (بغداد) :

هـذه اختنا الجزائر اضحت
حرة حطمت من البغى كبـلا
وأراها تلوح فى افقنـا بشـ
ـرى بها تطرد اليهود وتجلى
وتعود الارض الطهور طهورا
تزدهى بقعة وربعا واهـلا

وبمثل تلك الديباجة المشرقة والنغم العذب الملتزم استطاعت عاتكة أن تبرز تجاربهـا وأن تعبر عن عواطفها الذاتية ومشاعرها الوطنية .

واذا كان الشعر صورة لصاحبه، وكان الادب هو الادب فقد كان شعر عاتكة المحافظ على الشكل، الملتزم للوزن والقافية ، صورة لما طبعت عليه الشاعرة من الحفاظ على النفس ورعاية التقاليد ، ولذلك نراها تنفر من التجديد الشكلى ، وتسميه بدعة ترجعهـا الى الضعف وعدم الاقتدار على تاليف النغم العذب والقوافى المحكمة ، وترى أن الشاعرية المطبوعة التى تملك الاداة لايستعصى عليها وزن ولاتعجزها قافية . اقرأ قولها فى تمجيد شاعرية أبى ماضى «لم يكن أبو ماضى ممن أحلوا البدعة محل الابداع ، ولا ممن استهتروا باوزان الشعر وقوافيه ، ولا ممن حاولوا أن يقلدوا شعر الغرب فأضاعوا عليهم المشيتين ، أو ممن عمدوا الى الرموز المبهمة والمجازات المغلقة وحشروها فى كلام مطلق من الوزن حينا ومن القافية أحيـانا وأوهموا أنفسهم انهم استحدثوا فى أدبنا جديدا ، وانهم حرروا الشعر العربى من قيود ثقيلة يرزح تحتها، ثم تقول : ان صعوبة الوزن والقافيـة لايشكوها شاعر مبدع ، وانما هى عقبة كأداء فى وجه المقلدين ، وجمال شعرنا العربى آت من هـذا الايقاع الموسيقى المنغم ، واعجاز شعرنا العربى آت من رصانة قوافيه واتساق أنغامه ، وتقوا أن الشاعر الاصيل لايلقى أى عنت فى هـذين انما تتسق له الأوزان من تلقائها ، وتأتيه قوافيه طيعة مختارة .

ولقد أكدت عاتكة هذا القول فى شعرها الخصب الذى لم يتمرد على النظام العمودى للشعر، بل تدافعت فيه القوافى المحكمة وراء المتخير من لذيذ الوزن ، وعذب النغم ، كما أكده الشاعر الكبير الاستاذ عزيز أباظة فى الكلمة الممتعة التى قدم بها **(انفاس السحر)** وأطرى فيها شاعرية عاتكة ، والفضل الباسق لها فى تقديره انها آثرت القيم الصعب الممتنع وسـيلة للتعبير عن خوالجها وللابانة عن عاطفتها ، آثرت الشعر فلم تجنح ككثيرات وكثيرات غيرها الى ايثار العافية والى الاخذ بالغث المتهافت من الكلام الذى يسمونه الشعر الحديث .. فلقد كان يسيرا عليها أن تجمع شكولا من تلك الحشرجات المحمومة ثم تحشدها فى أسطر، ثم ترقم هذه الأسطر فى قرطاس بعضها تحت بعض منها ذو الكلمة والكلمتين ، ومنها ذو الجملة والجملتين ، ثم تنثر عليها حيثما اتفق نثارا من علامات الاستفهام والتعجب والفواصـل والنقط .

دكتور بدوى طبانه

إلى الدكتور حاتم

وثائق ذات خطورة بالغة

محمود الشرقاوى

نعرف نحن المؤرخين بصفة خاصة عناية الدكتور حاتم بوثائق التاريخ وبخاصة تلك التى تتعلق بتاريخنا العربى الحديث ، وهى عناية تتمثل فى اهتمامه الشخصى وفى نشاط خاص لوزارة الثقافة والارشاد صدرت بسببهما مجموعة من القرارات أصدرها الدكتور حاتم للمحافظة على هذه الوثائق وتيسير الحصول عليها ثم تنظيم دراستها والافادة منها . وقد ارسلت الوزارة فى السنة الماضية بعض وكلائها ـ الاستاذ محمد حسين ـ الى امريكا لتصوير مايجده فيها من هذه الوثائق ومنها تقارير القناصل الامريكيين ووثائق اللورد كرومر المعتمد البريطانى المشهور فى مصر وغير ذلك ، مما يدل على الاهتمام البالغ بالحصول على هذه الوثائق .

واقرأ الآن كتابا ممتازا اصدر فى بيروت هو : **«عالم حر جديد فى آسيا وافريقيا والوطن العربى»** فاجده يشير الى وثائق بالغة الأهمية والخطر فى تاريخنا العربى الحديث . وفى حديثه عنها ماقد يشعر بالخطر عليها ، أو على الأقل يوحى بعدم ـ أو قلة ـ الافادة منها .

***

كلنا يعرف تلك الوعود العرقوبية الكاذبة التى قدمتها انجلترا اثناء الحرب العالمية الأولى للملك حسين الذى كان يعرف يوم ذاك بلقب : « شريف مكة» فكانت تلك العهود «مصيدة » وقع فيها الشريف حسين وكثيرون غيره وأعلنوا بسببها ولاءهم وانحيازهم للحلفاء فى تلك الحرب ضد تركيا ، وكان موقفهم هذا عاملا من أكبر المؤثرات فى رجحان كفة الحلفاء وكسبهم الحرب .

هذه الوثائق الهامة يقول عنها الاستاذ محمد جميل بيهم ـ مؤلف : «عالم حر جديد» ـ مايلى :

واما شريف مكة الذى ادى للحلفاء ماادى من الخدمات خلال الحرب ، والذى تمتع بعد الانتصار بلقب ملك العرب خلال سنوات معدودات فقد كان مصيره النفى الى جزيرة قبرص حيث قضى خمسة اعوام . ولما اشرف على الموت جاء اليه ولده فيصل ملك الأردن ، فى تشرين الثانى سنة ١٩٣٠ ، ونقله الى عمان وتوفى فيها مكلوم الفؤاد . **وقد اتيح لى ان اطلع على الرسائل التى تبادلها المرحوم الملك حسين المشار اليه مع لندن ، والسير مكماهون ، والكومندور هوجارت ، والمارشال النبى خلال الحرب العالمية الأولى ، وان اقرا ماجاء فيها من عهود له ووعود للعرب ، وذلك حين تشرفت بزيارته فى قبرص سنة ١٩٢٩ وقضيت فيها اياما محفوفا** برعايته وتواضعه ومشاركا له فى آلام نفسه .

وقد كانت هذه المواثيق العظيمة تملأ كيسين من الخام مكدسة دون تبويب ولا ترتيب ، مما حز فى نفسى وحملنى على القول لجلالته ـ بحضور ولده

الأمير زيد : « هذه المواثيق هي مستندات عظيمة للأمة العربية ، واني وان كنت مقيدا باعمال خاصة لاتسمح لي بالتغيب عن بلدي «لبنان» فانا اتطوع للبقاء في رحابكم شهرا او اكثر اذا سمحتم لي بأن انسقها على طريقة المذكرات لجلالتكم تحت اشرافكم «فقال رحمه الله : «اتركها على بركة الله» وقد علمت بعد ذلك ان هذه الرسائل رافقته الى عمان ، ولكني لاأعلم ماذا تم بها .

وقد سجل الأستاذ بيهم فقرة هامة من فقرات هذه الوثائق علقت بذهنه منذ قرأها في ص ١٢٣ من الكتاب .

ومن هذا الوصف ندرك ان هذه الوثائق البالغة الاهمية - لا للأردن وحدها - بل للعالم العربي كله، كانت «مكدسة دون تبويب ولا ترتيب» ، وان المرحوم الملك حسين لم يوافق على تنسيقها وتبويبها بل ارادها ان تبقى «على بركة الله» ، وان ذلك كله كان في سنة ١٩٢٩ حين رآها الاستاذ محمد جميل بيهم ، وانها نقلت بعد ذلك من قبرص الى عمان . ولم يقل - او لم يعرف - الى اين في عمان ..؟ هل الى قصور الملك ..؟ ام الى وزارة الخارجية الأردنية ..؟ ام الى غيرهما ..؟ وانها تملأ « كيسين » او « جوالين » لوفرة عددها وكثرتها .

واعتقد انه من الواجب الآن ان تبادر وزارة الثقافة - اذا لم تكن فعلت - للحصول على صورة من هذه المذكرات والوثائق كلها لم تقوم بتسجيلها ووضعها تحت يد الباحثين في تاريخنا العربي الحديث .

واننى ارجو من **الدكتور حاتم** ، ونحن نعرف غيرته وحزمه ، ان يبادر فيأمر بالاتصال بحكومة المملكة الاردنية الهاشمية لسرعة الحصول على صورة كاملة من هذه الوثائق التى لايخفى خطرها وان تفهرس بعد ذلك فهرسة دقيقة تجعلها صالحة للدراسة العلمية . وكذلك يجب أن تحصل عليها - ان لم تكن فعلت - الجامعة العربية .

وانها لجريمة كبرى أن تضيع هذه الوثائق او ان تظل بعيدة عن دراسة الدارسين .

محمود الشرقاوى

أنشودة العرب

للشاعر : قاسم مظهر

على نور هذا الكفاح الكريم
سنمضي معا في الطريق القويم
ترقرق في الأفق لحن الوفاء
تجاوبه بارقات الصفاء
وقد رددته قلوب وضاء
وقد باركته عيون السماء
وقد اقسمت مهج الأقوياء
تزف الدماء ليوم الدماء
وانا على عهدنا قائمون
وانا الى ارضنا عائدون
سنمضى معا فى الطريق القويم
على نور هذا الكفاح الكريم
غدا وغد ليس عنك بعيد
ويشرق فجر علينا جديد
ستطوى فلول الظلام العتيد
ليسعد حي ويرضى شهيد
ولسنا نبالي بعصف الحديد
ولا بالردى واللظى والوعيد
كرهنا بسكنى الخيام السكون
وقولتهم اننا لاجئون
سنمضى معا فى الطريق القويم
على نور هذا الكفاح الكريم
فلسطين آن لنا ان نعود
بغير قيود وغير سدود
وسوف بأذن الاله نسود
وسوف نعانق ارض الجدود
فقد شوقتنا اليك الحدود
ومنها تطل علينا الورود
وفيها البساتين فيها العيون
تقول لمن بالمنى يحلمون
سنمضى معا فى الطريق القويم
على نور هذا الكفاح الكريم

قاسم مظهر

موقف الغزالى من العلم

الحسانى حسن عبد الله

الغزالى رفض العقل والمنطق !

الغزالى حرم على المسلمين دراسة الجغرافيا ودعا الى منع تعليمها !

الغزالى زجر المسلمين عن دراسة الرياضيات !

لو صاحب هذه الدعاوى من أبناء هذا الجيل لقلنا جمحة من جمحات القلم أو نزوة من نزوات الفكر ، ولكن صاحبها من جيل سابق عرف بتحرى الدقة واتزان المنطق . فماذا دفعه الى هذه الأباطيل ؟ قبل أن نشرع فى الجواب ننظر أين الغزالى من هذه التهم .

الغزالى فيلسوف يعنيه أمر الناس كما يعنيه أمر الفكر فهو ليس من أولئك الذين ينعمون بأعمال المنطق فى عزلة عن مشاكل المجتمع . ولعل قسما كبيرا من ثمرات فكره مبعثه الاهتمام بشئون الناس . من هذه الشئون مالاحظه على طلاب العلم من أبناء مجتمعه من انصراف عن علوم الدنيا الى علوم الدين . يتكالبون على دراسة الفقه ويزهدون فى دراسة الطب . فاحتج الغزالى منبها الى الخطر لانما الفقهاء على كثرتهم بينما الأمة تعانى قلة الأطباء . « ليت شعرى كيف يرخص فقهاء الدين فى الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة واهمال مالا قائم به . هل لهذا سبب الا أن الطب ليس يتيسر الوصول به الى تولى الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم على الأقران والتسلط به على الأعداء ؟ » .

الغزالى هنا ثائر من أجل المجتمع ومن أجل العلم . على أن ثورته لا تصنعها الحاجة والمنفعة فحسب وانما تستند الى تقدير وعرفان لفضل التعمق فى العلم . العلم فى رأيه « فريضة » اذا افتقرت اليه الأمة أما التعمق فيه فقد يستغنى عنه المجتمع ولكنه مطلوب بل هو عنده « فضيلة » .

وينظر الغزالى فى أحوال أهل زمانه فيجد أناسا زيفوا العقيدة باسم التصوف وأناسا انخدعوا بالزيف جهلا أو استمراء للكسل فيحمل على أولئك الشاطحين نشدانا لمجتمع سليم وعقيدة سليمة . أما الشطح فيعنى به « صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية أحدهما الدعاوى الطويلة العريضة فى العشق مع الله تعالى والوصال المغنى عن الأعمال الظاهرة .. وهذا فن من الكلام عظيم ضرره فى العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعاوى فان هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الأعمال .. فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة .. والصنف الثانى من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائعة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك اما أن تكون غيرمفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط فى عقله وتشويش فى خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر . واما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وايرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعانى بالألفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان أو يحمل على أن تفهم منها معان ما أريدت بها » .

صاحب هذا الكلام الذى رأى فى العلم فريضة ورأى فيه فضيلة وحمل على الشعوذة والتغرير بالعوام وأنكر الغموض ودعا الى « ممارسة العلم » حتى يقدر صاحب الدعوى على الافهام فيجنب الناس الحيرة والتشويش ـ يقول الأستاذ « **سلامه موسى** » فى « مقالات ممنوعة » انه رفض العقل والمنطق وحرم على المسلمين دراسة الجغرافيا « لأنها تنهض على العقل والمنطق » ويقول فى كراسة عن « الحروف اللاتينية للغة العربية » انه زجر المسلمين عن دراسة

الرياضيات · امعقول أن « حجة الاسلام » يقول بما يخالف الاسلام ؟

امعقول أن من يحتج على اهمال الطب يحرم الجغرافيا ؟

امعقول أن من يعتبر التعمق فى دقائق العلم فضيلة يزجر الناس عن دراسة الرياضة ؟

كلا · ما هذا بمعقول وانما نقيض هذا هو المعقول ·

لقد « صعق » سلامه موسى وهو يقرأ من كتاب « المنقذ من الضلال » هذه الكلمات « فكلام الأوائل فى الرياضيات برهانى وفى الأديان تخمينى لايعرف ذلك الا من جربه وخاض فيه ·· فهذه آفة عظيمة لأجلها يجب زجر كل من يخوض فى تلك العلوم » الى هذا النص يستند الأستاذ سلامه فى دعواه وهو نص ـ كما نرى ـ لا يفهم القارىء شيئا بل يوقع فى الحيرة والتشويش لأنه مقتطع من كلام لا يتجلى معناه الا بايراده كله · لقد كان أجدر بمن يغار على العقل والمنطق والعلم أن يقيم دعواه على العقل والمنطق والعلم · أما النص كاملا فيرد عند حديث الغزالى عن العلوم الرياضية · يقول انها « تتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم وليس يتعلق شىء منها بالأمور الدينية نفيا واثباتا بل هى أمور برهانية لاسبيل الى مجاحدتها بعد فهمها ومعرفتها ، وقد تولدت منها آفتان : الأولى أن من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ومن ظهور براهينها فيحسن بسبب ذلك اعتقاده فى الفلاسفة فيحسب أن جميع علومهم فى الوضوح وفى وثاقة البرهان كهذا العلم ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع ما تداولته الألسنة فيكفر بالتقليد المحض ويقول : لو كان الدين حقا لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم فى العلم·· واذا قيل له : الحاذق فى صناعة واحدة ليس يلزم أن يكون حاذقا فى كل صناعة ·· فكلام الأوائل فى الرياضيات برهانى وفى الالهيات تخمينى لايعرف ذلك الا من جربه وخاض فيه ، فهذا اذا قرر على هذا الذى انخدع بالتقليد لم يقع موقع القبول بل تحمل غلبة الهوى ·· على أن يصر على تحسين النطق بهم فى العلوم كلها · فهذه آفة عظيمة لأجلها يجب زجر كل من يخوض فى تلك العلوم » ·

هذا النص يوضح لنا مرة أخرى مقدار اهتمام الغزالى بالمحافظة على المجتمع سليما وعلى العقيدة سليمة · رأى أناسا من العوام يصل الى أسماعهم رذاذ من العلم والفلسفة فيحسبون أنهم أصبحوا فى عداد العلماء والفلاسفة ثم يجترئون على الكفر ولاسند لهم الا رذاذ آخر يصل الى أسماعهم عن كفر العلماء الفلاسفة أو الفلاسفة العلماء وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع · وما كان للغزالى ـ وهو الحريص على سلامة العقيدة وسلامة المجتمع ـ أن يلاحظ ما فيه أولئك ويسكت · فأى علاج لمثل هذا الأمر غير الزجر ؟

المزجور هنا ليس ناشئا فى العلم فيقال يأتى عليه يوم يتسع فيه علمه · وليس عالما صاحب رأى فيقال له من العلم ما يسمح له بحرية الرأى وانما هو دعى يفكر بالتقليد المحض · فالغزالى اذ يزجر « كل من يخوض فى تلك العلوم » لايزجر الراسخين فى العلم وانما يزجر من ليس له من العلم غير الرذاذ· واستعمال « الكل » مع ارادة الجزء امر مألوف فى اللغة ، فلا سبيل لمن يتهم فيلسوفنا هنا بتعميم الحكم· والحق أن قليلا من النظر فيما كتبه الغزالى عن هذه الأمور لا يدع اللبس يتسرب الى قارىء لهذا النص منصف · فليس من المعقول أن يقع مثل الغزالى فى تناقض بهذه السهولة فيوجب على المسلمين تعلم الطب ويحرم عليهم الجغرافيا والرياضة · لقد كانت المسألة بينة أمام الأستاذ سلامه موسى ـ لو اراد ـ فالغزالى الذى يأبى أن تقع الجماهير فريسة الدجل والشعوذة باسم الدين هو الغزالى الذى يأبى للمسلم ولغير المسلم أن ينساق وراء المزاعم مغمض العقل بليد المنطق باسم العلم· والعلوم الرياضية فى رأى الغزالى « برهانية » اى أنها تثبت بالبرهان المنطقى والدليل العقلى ، و « ولا سبيل الى مجاحدتها » فهل يبلغ الأمر بقائل هذا الكلام أن ينكر الرياضيات لانها ـ كما يقول سلامه موسى ـ « تنهض على العقل والمنطق » ؟

اغلب الظن أنه فهم الأمر على هذا النحو : الغزالى يرى أن الرياضيات تثبت بالبرهان ، وهو يخشى أن يكون ايمان الناس بها أوثق من ايمانهم بالالهيات التى ليس لبراهينها وثاقة تلك البراهين · فكيف نحفظ للناس ثقتهم بالدين ؟ الجواب هو تحريم العلم · والمسألة اذن انعكست فى ذهن سلامه موسى ـ بوعى أو بلا وعى ـ ولو أنصف لفهمها على هذا النحو : لم تكن الفلسفة فى زمن الغزالى « علما

براسها » على حد قوله وانما كانت تشمل الرياضيات والمنطق والالهيات والطبيعيات . وللفيلسوف ان يكون صاحب رأى فى فرع أو أكثر من الفروع الأربعة . لكن صحة الراى لن تكون سواء فى كل فرع لاختلاف ما تقوم عليه البراهين بين فرع وفرع. وعلى ذلك فالمتكلم فى الهندسة أو الطبيعة سيقنعنا بسهولة لأن براهينه فى متناول كل الأفهام اما كلامه فى وجود الله مثلا فلن يبلغ تلك الدرجة من الاقناع – سواء أكان مؤمنا ام كافرا – لأن البراهين هنا تختلف عن البراهين هناك . فمعرفة الصواب هنا ليست ميسورة لكل الأفهام التى فقدت استقلال النظر . مثل هذه الأفهام هى التى يريد الغزالى أن يقيها » الكفر بالتقليد المحض » وهنا نترك المجال للعقاد يدلى برأيه فى هذا الموضوع » العقل عند الامام الغزالى هو العقل فى شرعة الاسلام . كلاهما عقل يبتغى الحقيقة حيث كانت ولا يحجم عن المعرفة حيث أصابها ولا يقيم فوقه أو بين يديه بابا مغلقا دون قبس من النور يريه ما لم يكن رآه أو يزيده بصيرة بما رآه . وانما تناول بالتحريم عملا ليس من أعمال العقل ولا هو مما تسيغه العقول الرشيدة ، وهو تعريض العامى المقلد للمشكلات التى لايدركها ولا يتوفر على درسها وادراكها ، وكل ما يجنيه من يعرضه لها أن يسلبه طمأنينة التقليد ولا يعوضه منها غير القلق والاضطراب وسوء الطوية . وليس فى ابتلاء العامى المقلد بهذهالمحنة شىء من العقل ولافى تجنيبه مضرتها ووبال عقباها مخالفة للعقل أو حجر عليه » .

ماذا يكون الحال لو دخل مدرس الجغرافيا على التلاميذ يشرح لهم مواقع الكواكب ونظام دورانها ثم يقول لهم ان العالم الفلكى المشهور « **لابلاس** » لايجد مكانا للعناية الالهية فى نظام السموات ؟

اليس من الحكمة ان يمتنع المدرس عن مثل هذا القول حتى لا يحير العقول الغضة ويسلبها طمأنينة ايمان ساذج ليدعها فريسة قلق صنعه كفر ساذج ؟

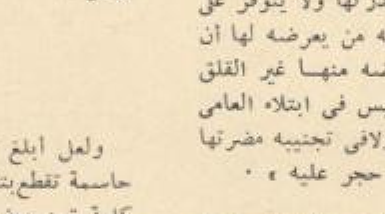
أجل . الحكمة كل الحكمة أن نترك التلميذ يتعلم فى أمن حتى يصبح عالما وشهيرا مثل « لا بلاس » فاذا شاء عند ذاك أن يبحث عن مكان العناية الالهية فعل ولديه من العلم ما يعينه على البحث .

الغزالى يريد ما يريده عيسى عليه السلام ، فهو يقبس عنه قوله « لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم » .

نعود الآن الى السؤال الذى طرحناه فى بداية هذا المقال «ماالذى دفع سلامه موسى الى هذه الأباطيل ؟» ولعل الجواب حاضر الآن أمام القارىء . سوء الفهم أو سوء النية أو السوءان معا . لقد كنت أحسب أن جيلنا لا نظير له فى جموح القلم والاجتراء على الحق والعجلة فى الفهم ، أما الآن فانا أحسب أن جيلنا قبس هذه الآفات عن معلم اسمه « سلامه موسى » .

ولعل أبلغ كلمة نختم بها مقالنا كلمة للغزالى حاسمة تقطع بتقديره للعلم ووضعه فى مكانه الصحيح. كلمة ترد بعض سطور من النص الذى استشهد به الأستاذ سلامه ولعل عينيه مرتا بها مغمضتين. يقول حجة الاسلام « لقد عظم على الدين جناية من ظن أن الاسلام ينصر بانكار هذه العلوم وليس فى الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفى والاثبات ولافى هذهالعلوم تعرض للأمور الدينية » .

« **الحسانى حسن عبد الله** »



حول كتاب دين الله واحد

للشيخ محمود أبي رية

للدكتور جوده هلال

« افلاطون صديق ، والحق صديق ، ولكن الحق أصدق منه » .

بهذه العبارة توج ارسطو فلسفة الاغريق .

وفضيلة الشيخ «أبو ريه» صديق ، أعرفه منذ زمن ليس بالقصير وترجو ألا يصدف عن الحق ، فان الحق ـ كما قال الله تعالى ـ أحق أن يتبع .. تفضل فضيلة الشيخ واهدانى كتابه « دين الله واحد » والكتاب فى جملته يثير أكثر من مشكلة واكثر من قضية وكلها قضايا خطيرة تحتاج الى بحث وتمحيص .

والفكرة الاساسية فى الكتاب تدور حول « **عالمية الدين ووحدته** » وهى فكرة رائعة ، جديرة بأن تبلغ الى أعماق النفس الواعية لولا أن الصورة التى قدم بها المؤلف كتابه صورة مضطربة وباهتة ، والأحكام التى أوردها فيه أحكام متهافتة لا تستقر أمام قوانين العقل ، ولا تثبت أمام النصوص الصحيحة من النقل .

يستشهد المؤلف (فقط) بالنصوص التى ربما تصلح ـ فى ظاهرها ـ أساسا لمقصده ، وحجـة لغايته ، أما تعميق الفكرة وارساء قواعدها على أسس سليمة فهو ما لم يخطر له على بال .

ان الاستاذ المؤلف يريد أن يخلص من كتابه الى ان أصحاب الاديان جميعا فى درجة واحدة وان اختلفت صور العبادات وتعددت أشكالها وطقوسها ، لان هذا التباين فى الاشكال والطقوس لا يغير من طبيعة وحدتها ، ولا من الغاية التى تنتهى اليها .. الى مالك الملك علام الغيوب . ففى نظره أن الناس أحرار فى أن يؤدى كل منهم شعائر دينه وطقوس عبادته على الصورة التى رسمها دينه الذى ينتمى اليه . «ان فى المعبد .. أو فى الصومعة .. أو فى الكنيسة .. أو فى الخلوة .. او فى اى بقعة من بقاع الارض .. الخ . انظر ص ١٢ .

ويجد المؤلف فى غير ملل أو وهن فى سرد آيات كثيرة من القرآن الكريم والتوراة والانجيل .. ثم اقاويل الفضلاء من العلماء ظنا منه أن ذلك يقربه الى غايته ... او يهديه الى ضالته ولكن مثله كمثـل القائل :

ما كل ما يتمنى المـرء يدركه
تأتى الرياح بما لايشتهى السفن

يحاول فضيلته فى اعتزاز يشوبه الدهاء أن يتوج استشهاداته بالآية الكريمة : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » الآية ٦٢ من سورة البقرة .

ومن هذه الاستـشهادات ماجاء فى ص ١٣ من الكتاب :

اولا ـ عن الحسن ، قيل لرسول الله : « ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين، فقال : ونحن نستغفر لهم .

ثانيا ـ عن علي : رأيت رجلا يستغفرلأبويه وهما مشركان ، فقلت له ، فقال : اليس قد استغفر ابراهيم لأبيه .

ثالثا ـ قال الزمخشري في الكشاف : ان العقل يجوز «بتشديد الواو» أن يغفر الله للكافر ، ألا ترى الى قوله عليه السلام : لأستغفرن لك مالم أنه عن ذلك .

ويعلق (المؤلف) على الآية الكريمة بقوله : فكل من يؤمن بالله ، واليوم الآخر ، ويعمل صالحا فهو ناج بفضل الله ان شاء الله ... ذلك بان هذه الصفات الثلاث هي اركان الدين الاساسية على لسان كل رسول ... فمن اتبع احكامها ... واقام اصولها ـ من أي دين كان ـ فاز برضوان الله . ص ١٦ من الكتاب .

وكاني (بالمؤلف) وقد بهرته الآية الشريفة بسلطانها .... كما بهره تعليق السيد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ بقوله : سمعنا هذه المسالة من البكري وقال امامنا : ان السيد ـ يعني جمال الدين الأفغاني ـ قال له: انقشوا هذه الآية على هرم الجيزة الى أن يجيء المستقبل يفسرها .

ويعلق (المؤلف) على هذا أيضا بقوله : ان الناس سيصلون ان شاء الله بعلومهم وعقولهم الى مرتقى تزول فيه الجنسيات الدينية ، وتختفي العصبيات المذهبية ، ويجتمعون على دين واحد يشمل الناس جميعا ، وهذا الدين يقوم على ثلاث قواعد :

١ ـ ايمان بالله

٢ ـ عمل صالح

٣ ـ ايمان باليوم الآخر

وبهذا يتم الكتاب

وبعد هذا العرض السريع للكتاب نود أن نطمئن المؤلف بانه ليس من حق أي فرد كان ولا فيمقدوره ان يدخل أحدا الجنة ولا أن يدخل أحدا النار .. والمقياس الصحيح هو العمل .. يقول الله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) من سورة الزلزلة .

ويتجه النبي الكريم الى فلذة كبده ، واحب الناس اليه فاطمة الزهراء ويقول لها في حنان صادق : يافاطمة بنت محمد اعملي لا أغني عنك من الله شيئا .. ثم يتجه بقلبه الى عمه العباس ليقول له : يا عباس بن عبد المطلب اعمل لاأغني عنك من الله شيئا .

والى جانب هذه الاحاديث التي تحمل عبق النبوة وعطرها .. ترى القرآن العظيم يحدد سمات المؤمنين . ويضع علامات على جبين الكافرين . يعلن القرآن أن محمدا نبي .. وانه خاتم الانبياء .. « وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما » .. وان هذا القرآن الذي انزله الله على محمد ليفرق به بين الحق والباطل مصدق لما بين يديه من التوراة والانجيل .. وهنا تسأل المؤلف .. فما بال من لم يؤمن بمحمد نبيا ولا بالقرآن كتابا ؟!

والمؤمنون بالقرآن يعلمون تمام العلم أن الانجيل قد أعلن منذ أن كان السيد المسيح يدعو الى ربه متضمنا أمرين عظيمين :

الاول ـ التصديق بما بين يديه من التوراة .

الثاني ـ البشارة بمن يأتي بعده من الرسل .

واقرأ قول الله تعالى : «واذ قال عيسى بن مريم اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد» الآية .

والمؤمنون بمحمد وبالقرآن يؤمنون بالسيد المسيح .. ويؤمنون بالكليم .. بل يؤمنون بجميع الانبياء سواء عرض القرآن لهم ولسيرتهم أم لم يعرض لهم وبأنهم جميعا يسيرون معا على الطريق ، وبأنهم ابناء علات ، وبأنهم يمثلون بيتا تكامل ببعثته صلوات الله وسلامه عليه . يقول عليه السلام : «مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا تنقص منه لبنة ، فكلما مر عليه قوم قالوا ما أجمل هذا البيت لولا هذه اللبنة ، فالانبياء هم البيت وانا اللبنة » .

ويمضي القرآن ، ويعلن على الملأ عدم التفرقة بين الانبياء مهما اختلف ميقاتهم فيقول : « لا نفرق بين أحد من رسله » .

ويثني على ابراهيم بقوله :

« انه كان صديقا نبياء الآية ٤١ من سورة مريم»

وعلى موسى بقوله :

«انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا» الآية ٥١ من سورة مريم ٠

وعلى اسماعيل بقوله :

«انه كان صادق الوعد» الآية ٥٤ من سورة مريم

وعلى ادريس بقوله :

«انه كان صديقا نبيا» الآية ٥٦ من سورة مريم ٠

ويقول النبى الكريم : نحن أحق بالشك من ابراهيم ، ولا تفضلونى على يونس ابن متى ، ولو كنت مكان يوسف لأجبت الداعى ٠

ومرة ثانية أؤكد أن المؤمنين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم يؤمنون بجميع الانبياء السابقين ، وبجميع الكتب المنزلة على قلب كل رسول ، يؤكد هذا حديث ابن عمر الذى رواه عن أبيه عمر بن الخطاب بقوله : « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فاسند ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يامحمد أخبرنى عن الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الاسلام أن تشهدأن لااله الا الله وان محمدا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ٠ وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا » ٠

قال فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال أخبرنى عن الايمان ، قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» ٠ قال صدقت الى أن قال : ياعمر أتدرى من السائل قلت : الله ورسوله أعلم ، قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ٠

فالايمان لا يكون الا بما يلى :

١ ـ الايمان بالله ٠

٢ ـ الايمان بالرسل ٠

٣ ـ الايمان بالكتب السماوية ٠٠ الى آخره ٠

وجماع الايمان بهذه الامور قول الله تبارك وتعالى : « ياايها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله ، والكتاب الذىانزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا» الآية ١٣٦ من سورة النساء ٠

و «ال» فى الكتاب ـ الذى أنزل من قبل ـ يعبر عنها علماء اللغة بال الجنسية ، أى بجنس الكتب التى سبقت فى نزولها نزول القرآن ٠

والآية التى استشهد بها (المؤلف) وردت فى ثلاثة مواضع متفرقة فى القرآن ٠٠ ونص الآية كما ورد فى سورة البقرة : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون » ٠

يقول جار الله الزمخشرى الذى أعجب (المؤلف) به :

ان الذين آمنوا : أى من المنافقين ٠

والذين هادوا : أى دخلوا فى اليهودية ٠
والنصارى ٠٠ أى الذين نصروا المسيح ٠

والصابئين : وهم قوم عدلوا عن اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة ٠

من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل فى ملة الاسلام دخولا أصيلا وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ٠٠ الخ (انظر تفسير سورةالبقرة من الكشاف) ٠

والى جانب الزمخشرى يأتى صوت آخر من الاندلس ، ذلك الصوت هو صوت أبى عبد الله القرطبى صاحب التفسير المشهور ، فنراه يعلق على هذه الآية بقوله : وتقدير الكلام من آمن منهم بالله، وفى الايمان بالله واليوم الآخر يندرج الايمان بالرسل والكتب والبعث ٠٠ ويستدل على ذلك بقوله عليه السلام : « لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار » ٠

ثم أليس اليهود ـ ياسيدى المؤلف ـ هم الذين قال الله فيهم : « قل ياأهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم » وهل تكون هناك اقامة للتوراة والانجيل الا بالايمان بهما والعمل بمقتضاهما ؟.

ثم أليس اليهود هم الذين فضح الله أمرهم ، وبين حقدهم بسبب ما أنعم الله به على رسول الله من نزول القرآن . . . وانظر تتمة الآية السابقة « وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا » الآية ٦٨ من سورة المائدة .

يقول القرطبى: سبب نزول هذه الآية: ان جماعة اليهود جاءوا الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : ألست تقر أن التوراة حق من عند الله ؟ قال : بلى ، فقالوا : فانا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها » وتقدير الآية الكريمة : أى لستم على شىء من الدين حتى تعملوا كما فى الكتابين « التوراة والانجيل » من الايمان بمحمد عليه السلام ، والعمل بما يوجبه ذلك منهما .

ولما ذهب أكابر يهود ، وفيهم ياسر بن أخطب ورافع بن أبى رافع الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسألوه عمن يؤمن به من الرسل ، أجابهم بقوله : نؤمن بالله وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل ... الى قوله : ونحن له مسلمون » ... فلما ذكر النبى عيسى عليه السلام جحدوا نبوته ـ أى نبوة محمد ـ وقالوا : والله ما نعلم أهل دين أقل حظا فى الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم ...

فكانت مقالتهم هذه سببا فى نزول قوله تعالى : «قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل » الآية ٥٩ من سورة المائدة .

واذا كان الأستاذ يعتبرأن ايمان يهود والنصارى ايمانا صحيحا ففيم النداء اذن فى مثل آيةالمباهلة: « قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواءبيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » الآية ٦٤ من سورة آل عمران .

ثم نسأل (المؤلف) ... لمن يوجه الله هذا الخطاب: « قل ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون » . الآية ٩٨ من سورة آل عمران

ويقول الزمخشرى فى تفسيرها : المعنى، لم تكفرون بآيات الله التى دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم !!!

واخت الآية السابقة: « ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون » .. الآية ٧٠ من سورة آل عمران .

قال الزمخشرى (بآيات الله) بالتوراة والانجيل، وكفرهم بها : أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها وشهادتهم ـ اعترافهم بأنها آيات الله .. الخ .

ونظير الآيتين السالفتين : « ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء » .. الآية ٩٩ من سورة آل عمران .

وشبيهها : « ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » .. الآية ٧١ من سورة آل عمران .

وخلاصة هذه الآيات أن الله حكم على أهل الكتاب المخاطبين فى هذه الآيات بأنهم :

كانوا يكفرون بآيات الله .

كانوا يصدون عن سبيل الله .

كانوا يلبسون الحق بالباطل .

كانوا يكتمون الحق مع علمهم بأن هذا هو الحق .

وأنهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون .. كما تنطق **بذلك الآية ١٤٦ من سورة البقرة .**

وكان شيئا طبيعيا ومنطقيا أن ينهى الله المؤمنين أن يتخذوا من هؤلاء اليهود والنصارى أولياء : «ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض » الخ الآية ٥١ من سورة المائدة وفى موضع آخر يقول: «ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء » الخ الآية ٥٧ من سورة المائدة .

وهنا نكتة أظن أن المؤلف يفهمها جيدا .. تلك هى أنه تعالى قرن أهل الكتاب بالكفار .

ثم أليس اليهود هم الذين قالوا : « يد الله مغلولة » فرد عليهم بقوله : « غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء الخ .. الآية ٦٤ من سورة المائدة .

وأليس اليهود هم الذين قالوا : « عزير بن الله » تماما ـ كمقالة النصارى ـ « المسيح بن الله » فوصف الله هذه المقالات بأنهم يضاهئون قول الذين كفروا ...

وقالوا (اليهود والنصارى) : نحن أبناء الله واحباؤه ؛ فقال لهم الله تعالى : « قل : فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق » الخ الآية ١٨ من سورة المائدة .

والنصارى ... أليس الله يحكي لنا في القرآن المجيد قولهم : « ان الله ثالث ثلاثة » ثم يجبههم بقوله : « وما من اله الا اله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم » الآية ٧٣ من سورة المائدة .

فهل يعتقد صاحب كتاب « دين الله واحد » ان المسلمين والنصارى واليهود سواء ؟؟

أما نحن فنقول : اللهم ليسوا سواء ، فمن يؤمن بالكليم او بالسيد المسيح ولم يؤمن بالعاقب الذى لا نبي بعده فليس من الدين في شيء .. تماما كما لو آمن شخص بمحمد صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن بمن قبله من الرسل ، وحاشا أن تجد مسلما واحدا يكفر بنبوة نبي من الأنبياء ... يقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا » .

أما ما يستدل به المؤلف من قول الزمخشري من أن العقل يجوز (بتشديد الواو) أن يغفر الله للكافر، فان الجواز العقلي لايصلح ان يكون أساسا للحكم الشرعي كما يعلم ذلك المبتدىء في الدراسات العقلية فضلا عن الشيوخ والراسخين في العلم . وأما احتجاجه بقوله عليه السلام : « لأستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك » فقد نهى الله الرسول عن الاستغفار لهم بقوله : « استغفر لهم او لا تستغفر لهم أن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » .. الآية ٨٠ من سورة التوبة . وقوله تعالى : « ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم » الآية ١١٣ من سورة التوبة .

وفي شأن استغفار ابراهيم لأبيه يقول الله تعالى : « وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه » ..الخ الآية ١١٤ من سورة التوبة .

ثم ليتفش (الشيخ المؤلف) الآية الكريمة « ان الذين آمنوا والذين هادوا » .. الخ على قمم الأهرام ، أو على جدار أهل الكهف ، أو فوق ناطحات السحاب ، أو على لوحة تذكارية يبعث بها مع أول رحالة الى القمر فلن يجد تفسيرا لها الا مايؤيده قوله تعالى : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» .

وثمة أمر آخر جاء في الكتاب :

يعقب المؤلف على قوله تعالى : « وانزلنا التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان» . بقوله : والفرقان هو العقل الذى يفرق به بين الحق والباطل في ص ٥٥ من الكتاب .

وأمامي الآن مادة (فرق) معجم لسان العرب لابن منظور وقد جاء فيها :

الفرقان : القرآن ، وكل ما فرق به بين الحق والباطل فهو فرقان ولهذا قال الله تعالى : « ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان » .

وفي حديث فاتحة الكتاب :

ما أنزل في التوراة ولا الانجيل ولا الزبور ولا الفرقان مثلها . وجاء الفرقان : من أسماء القرآن .

والفرقان : الحجة

والفرقان : النصر

وفي التنزيل « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان» وهو يوم بدر .

وفي بعض الآيات أطلق الله على التوراة اسم الفرقان ، قال الله تعالى : « ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء » ـ أراد التوراة فسمى جل ثناؤه الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فرقانا ، وسمى الكتاب المنزل على موسى فرقانا ... والمعنى انه تعالى فرق بكل واحد منهما بين الحق والباطل.. وليس من بين هذه المعاني ـ كما ترى ـ ما يفسر الفرقان بالعقل كما ذكر المؤلف .

« دكتور جودة هلال »

تراث يسيء الى الاسلام

محمد عبد الله السمان

ان التراث الاسلامى الذى لم يزل مخطوطا من الكثرة بحيث لا يعد ولا يحصى ، سواء ما كان منه فى مكتبات أوربا أم فى المكتبات العامة والخاصة فى سائر بلاد المسلمين ، وقد أصدرت وزارة الاوقاف فى العراق فى السنوات الاخيرة مجلدا ضخما حوى ما لديها فى دارها ببغداد وهو بضعة آلاف مخطوط معظمها نادر ، وفى دار الكتب والمكتبة الازهرية قسمان كبيران للمخطوطات الاسلامية التى لم تمتد اليها بعد أيدى العلماء المحققين .

ورعاية التراث الاسلامى مما لا يحتاج الى مناقشة، ووزارة الثقافة والارشاد القومى عندنا وكذلك دار الكتب ، تؤديان رسالتهما فى هذا المجال ، الى جانب دور النشر الكبيرة ، بل ان كلا من الكويت وقطر والعراق يسهم بنصيب مشكور فى احياء التراث العربى والاسلامى ، ولكن المشكلة التى يجب أن تسترعى أنظار من يهمهم الأمر من مسئولين رسميين وغير رسميين ، تنعقد فى اختيار التراث الاسلامى الأصيل ، واختيار العلماء المحققين الممتازين ليسند اليهم احياء هذا التراث .

***

والحق أن هذه المشكلة لا تحتل مكانا ملموسا فى الجهات الرسمية المعنية بالتراث الاسلامى ، حيث لا يحركها عامل تجارى ولا غيره ، ولكنها تحتل المكان الأسمى فى دور النشر الاهلية ، التى ربما جذبها الى طبع كتاب من كتب التراث عنوانه لانه يلعب دورا ذا أثر فى الميدان التجارى ، ونحن اذا أجرينا تصفية دقيقة لما طبع فى دور النشر وهو يعد بالمئات ، لكان نصيب الجدير بالطبع والنشر منه متواضعا غاية التواضع ، ودون ما حساب ـ بالطبع ـ لآلاف الرسائل الصغيرة التى تفيض بالاساطير والخرافات، ولم تزل تغزو اسواق البلاد الاسلامية فى أفريقيا وآسيا بالالوف المؤلفة .

لقد قال لى أحد الناشرين بالقاهرة : ان نشرة رسمية وصلت أخيرا تحتم علينا أن نعرض ما نود طبعه من كتب التراث الاسلامى كالتفسير والحديث والتوحيد على الازهر لأخذ الموافقة على نشره قبل الطبع ..

وأعتقد أن مثل هذا الاجراء لا يصلح علاجا للمشكلة ، وأخشى ألا يكون سوى مرحلة من مراحل التعقيد ، وأنا أعلم أن أخذ الموافقة على طبع مصحف من المصاحف يستغرق زهاء عام بأكمله فى أروقة المسئولين بالازهر .

وعندما عتبت على أحد الناشرين لطبعه كتابا فى التصوف قديما ، لا يفيد المسلمون منه ، بل انه ليسيء الى الاسلام نفسه ، قال لى : ماذا نفعل ؟ اننا نجهل مثل هذه الكتب ، ولا نقترح طبع الكتاب ، بل يقترحه علينا عالم من علماء الازهر ، ويأخذ على عاتقه تحقيقه ، وما علينا الا أن ننفق أموالنا عن يد ونحن صاغرون .

اذن فالاتجاه الجديد ـ وهو احالة كتب التراث الاسلامى على الازهر ليأذن بالطبع والنشر لا يمكن أن يكون علاجا حاسما للمشكلة . ولا يمكن أن يحول دون نشر لون من التراث الاسلامى يجب تجميده تجميدا أبديا ..

ان فى استطاعة مجمع البحوث الاسلامية بالازهر

– وعلى رأسه عالم فاضل هو الاستاذالدكتور محمود حب الله – أن يفعل شيئا حيال فوضى التراث الاسلامي في مجال الطبع والنشر ، وهي فوضى تلعب دورا خطيرا في حياة المسلمين في سائر الدول المسلمة ، أقول في استطاعة مجمع البحوث الاسلامية بالازهر ان يؤلف لجنة من العلماء يتوافر لديهم التخصص في سائر العلوم الاسلامية ، والتجرد من المذهبية والطائفية ، ثم الأمانة العلمية ، وتكون مهمة هذه اللجنة أن تجري احصاء شاملا للتراث الاسلامي المخطوط لدينا والذي لم يطبع بعد ، ثم توافي دور النشر الكبرى وسائر الصحف في البلاد الاسلامية بالصالح منه للنشر ، كما تشير الى الغث منه محذرة من طبعه ونشره ، وهذه مهمة مجمع البحوث الاسلامية الاولى ، وبدونها سيظل الى ما شاء الله لفظا لا معنى له ، أو اسما على غير مسمى ..

أما أن نترك الامور تجري كما تهوى دور النشر ، وكما يهوى محترفو التحقيق العلمي من العلماء وغيرهم ، ونقدم الى العالم الاسلامي تراثا نضيفه الى الاسلام زورا ونصدع به اذهان القراء من السذج ، وهو لا يمس حياتنا من قريب أو بعيد ، فهذه هي المشكلة المعقدة ، وبقاؤها بدون علاج لا يتيح للفكر الاسلامي اليوم أن تكون له شخصية تقف على قدم وساق راسخة رسوخ الطود ، والعالم شرقيه وغربيه معبأ بالافكار الحية التي تلعب دورا خطيرا في حياة المجتمعات والشعوب ..

***

وهذا مثل واحد لهذه الفوضى ..

منذ أيام وقع في يدي كتاب أطلق عليه « علم القلوب » لمحمد بن علي بن عطية الحارثي المكي الملقب بأبي طالب المكي ، والمتوفى عام ٣٨٦ هـ ببغداد ، هذا الكتاب يطبع لأول مرة ، ولا علينا اذا صحت نسبة الكتاب الى أبي طالب المكي صاحب « قوت القلوب » المشهور في عالم التصوف ، أو لم تصح فالمهم هو الكتاب نفسه ، كاثر ينسب الى التراث الاسلامي ، هذا وقد قام بتحقيق الكتاب مدرس متخرج في كلية دار العلوم ، يقول في تقديمه للكتاب : انه وشقيقه « قوت القلوب » يعتبران من أسس السلوك الديني القويم الذي نحتاج اليه في تصحيح الاعمال والنيات والعقائد ، ويوقفنا على دسائس النفوس ومكائد الشيطان حتى تتضح السبيل ويستنير الطريق »

الكتاب يبحث حقا في ماهية الحكمة والفرق بينها وبين العلم ، وفي بيان التوحيد والتفريد على لسان أهل الاشارة ، وفي وصف العارفين وطبقات المخلصين .. الى غير ذلك ، ولكن هذه البحوث لا تتسم في معظمها ان لم يمكن جميعها – الا بالحشو الممل ، والنقول المزيفة ، والالغاز المعقدة ، والقصص الأسطورية ،والاحاديث النبوية المصنوعة ،والتاويلات الفاسدة لكتاب الله عز وجل .

فان المؤلف لم يكلف نفسه جهدا ، ولا عقله شحذا ، لانه لم يتقيد فيما أفاض في كتابه الذي يقع في ثلثمائة صفحة من القطع الكبير بمنهج في الرواية والنقل فهو دائما يقول : « قال بعضهم » و «قيل» و « قال بعض علماء الشام » و «قال بعض علماء البصرة» و « ان الله يقول في بعض أسفار الانبياء » ولا يهمه بعد ذلك أن يسخر من عقولنا ، ويتركها تتخبط في جو من الخرافات والاساطير التي تليق بالمجانين في عالم الجنون .

قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه : « ان لله تعالى مقاود معلقة بالعرش بعدد قلوب المؤمنين ، لكل قلب مقود ، فلا يذكر ذاكر ربه حتى يحرك الرب مقوده ، ثم قال : حركة المقود هي قبل ذكر الذاكر ربه » .

وعن وهب بن منبه قال : ان أبا هريرة حدثني عن النبي (ص) قال : ان لله تبارك وتعالى صندوقا مربعا قدام العرش من لؤلؤة بيضاء طوله مسيرة خمسمائة عام ، وعرضه مثل ذلك ، مضروبا بكواكب درية ، كل كوكب منها مسيرة سنة ، مكتوب على ترابيعه · لا اله الا الله محمد رسول الله ، وعليه قفل من نور مسيرة ثلثمائة عام · وله مفتاح في طوله مسيرة مائة عام · فيه أربعة أشياء ممزوجة باربعة ، لا يعطى ذلك أجمع الا الانبياء والاولياء : الحكمة ممزوجة بالجوع ، والورع ممزوج بالمحبة ، والبلاء ممزوج بالرضا ، والحزن ممزوج بالشوق ، فهذه الاربعة هي أصول في طريق المقربين » .

واليك غير هذين :

يقال : ان امرأة مرت بعيسى عليه السلام وهو

يعمل العجائب فقالت : طوبى لبطن حملك ، ولثدى ارضعك ، قال عيسى : طوبى لمن قرأ القرآن وعمل بـه .

وفى دنيا الالغاز :

سئل أبو يزيد البسطامى : باى شئ يصل العبد الى الله ؟ قال : بالخرس والصمم والبكم والعمى » .

وقال الحلاج : عندى أن المعرفة هى الجهـل ، والتواضع هو التكبر ، والعز هو الذل ، والبقاء هو الفناء ، والذكر هو الغفلة والنسيان » .

***

وفى دنيا التاويل الفاسد للقرآن :

سئل الشبلى ـ رضى الله عنه عن قوله : « صم بكم عمى » قال : « هذه صفة العارف » .

قوله تعـــالى : « واما السائل فلا تنهر » قال بعضهم : ليس هو المسـكين الذى يسالك الكسرة والقطعة ، انما هو طالب العـلم الذى يسالك عن العـلم ، فلا تزجره ، ولكن قربه وعلمه » .

قال جعفر الخلدى فى قوله تعالى : « الله الصمد » هى خمسة احرف الف ولام وصاد وميم ودال . الالف دليل على احديته ، واللام دليل على الهيته . وهما مدغمان لا يظهران على اللسان ويظهران فى الكتابة ، فدلت الحكمة فى ذلك على أن أحديته والهيته خفية مستورة الحقيقة ... »

وفى دنيا الاساطير :

الشـــبلى فى سوق بغداد كتب على طبق« الله » فانشق الطبق نصـفين ، وقرأ على قدح آخر « الله » فتقطع القدح وطار ، واشار الى رجل بـ الله فاشتعل راسه نارا ؛ والرجل يصيح . فقال الشبلى : يانار كونى بردا وسلاما فليس هذا من رجالك ، فخمدت النار »

وفى دنيا الهوس :

قال أبو يزيد البسطامى: لم اذكر منذ اربعين سنة انى استندت الى حائط مسجد، فقيل له : لم لاتستند وفى ذلك رخصة ؟ فقال ســـمعت الله يقول : فمن يعمل مثقال ذرة خـــيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . وقال : كنت أطوف حول بيت الله الحرام فلما أن وصلت اليه رأيت البيت يطوف حولى . »

وروى ان ابا أن عبد الله اشترى جارية فلما دخل داره قال : قومى وافرشى الثيـــاب . قالت : ماذا تصـــنع يا مولاى ؟ قال : أنام . قالت : ألك مولى ؟ قال : نعم . قالت وينام مولاك ؟ قال : لا . قالت : اما تستحى أن تنام ومولاك لا ينام !

***

وبعد ـ فهذا هو عرض سريع لما فى الكتاب من اضاليل ، وحسبنا أن تذكر مالم ينكره محقق الكتاب نفسه، من ان المؤلف أبا طالب المكى قد خلط فى كلامه فبدعه الناس وهجروه وامتنع من الكلام بعد ذلك . ولكن المحقق بتشيعه للانحراف الصوفى يدافع عن المؤلف الذى ترك الطعام زمانا واقتصر على الحشائش المباحة حتى اخضر جلده من كثرة تناولها ، يدافع عنه بقوله : ان بعض الناس تعود أن ينكر ما لم يالفه من مسائل العلم انكارا كاملا ،والبعض الآخر يتوقف فيما لم يالف ويسلم الامر لله ...

ولكن : اليس الفكر الاسلامى الاصيل فى غنى عن هذه الالغاز ، والاسلام معان واضحة لا لبس فيها ، ورضى الله عن أبى زرعة الذى قال عن كتب المحاسبى فى التصوف مع ما عرف عنه من اعتدال : اياك وهذه الكتب فهى بدع وضلالات وعليك بالاثر أى ما ورد عن النبى واصحابه ، وقال أيضا : من لم يكن له فى كتاب الله عبرة ، فليس له فى هذه الكتب عبرة . »

وصلوات الله على رسول الله القائل :

« كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون . اتريدون أن يكذب الله ورسوله . »

محمد عبد الله السمان

النثر عند أحمد شوقي

بمناسبة الذكرى الثانية والثلاثين لوفاته

صديق شيبوب

ولد شوقي شاعرا . تلك حقيقة لا ريب فيها ، فقد عقدت ربة الشعر اكليلها على جبينه يوم ميلاده فنشأ بلبلا صداحا فى رياضها الغناء وصناجة يغرد فى جناتها الفيحاء ، وصار يتعبد فى محرابها حتى اصبح علما بين سدنتها وكهانها .

ولما كان لكل شاعر رسالة فقد احس شوقي فى مطالع شبابه أن رسالته يجب الاتقتصر على الشعر، بل تتناول جميع صنوف الادب ، وخاصة تعريف المصريين بتاريخ بلادهم وجلائل حوادثه . ولا عجب فى ذلك فقد كان شوقي بعد أن أتم دراسته العربية فى مدرسة المبتديان فالمدرسة التجهيزية فمدرسة الحقوق ارسله الخديو توفيق الى فرنسا ليدرس الحقوق على ألا يعود الى مصر الا بعد أن تنتهى دراسته .

وفى فرنسا اطلع شوقي على آداب الغرب عامة وآداب الفرنسيين خاصة فقرأ لشعرائهم وقاصيهم وشهد مسارحهم وطالع ماكتبوا عن تاريخ مصر حتى اذا عاد الى وطنه بعد غياب أربع سنين عنه كان قد اتم ثقافته راكتمل نضجه الفكرى والادبى ، وخاصة الشعرى ، واحس بواجبه نحو أمته ووطنه فانصرف الى تادية رسالته عن تاريخ مصر فنظم قصيدته المشهورة ، بل الملحمة التى قدمها الى مؤتمر المستشرقين بجنيف سنة ١٨٩٤ والتى مطلعها :

همت الفلك واحتواها الماء
وحداها بمن تقل الرجاء

ولعله وجد بعد ذلك أن مجال الشعر يضيق دون تادية تلك الرسالة فى التعريف بتاريخ مصر ، ذلك التعريف الذى وصفه بعد ذلك بقوله :

وانا المحتفى بتاريخ مصر
من يصن مجد قومه صان عرضا

وتنبه الى ان النثر أقرب الى فهم عامة الشعب من الشعر فوجه عنايته الى كتابة صفحات من ذلك التاريخ فى قالب قصصى، كما كان يفعل جرجى زيدان ابامئذ فى قصصه المسلسلةعن تاريخ العرب. ولكن زيدان كان يسير علىخطة معينة رسمها لنفسه، وكانت قصصه تتناول ذلك التاريخ عصرا فعصرا . واما شوقي فقد تخير الموضوعات على هواه ووفقا لالهامه

وهكذا انصرف شوقي الى الكتابة نثرا . وكان من رأيه فى المقدمة التى وضعها للطبعة الاولى من الشوقيات ، انه يجب على الشاعر أن ينثر .

وقضية الشاعر والناثر قديمة . فقد قيل ان كل شاعر ناثر . وكان شوقي شاعرا فلماذا لايكون ناثرا ايضا . ولكن الضجة التى قوبلت بها قصته الاولى « عذراء الهند » دلت على انه لم يكن ناثرا مسترسل العبارة منسرح الجمل فى بلاغة الفاظ ورصانة تعابير .

كان شوقي شاعرا بالسليقة ، وكانت عبقريته فى الشعر ترشده الى جمال الالفاظ وتعينه على تنميق العبارات . ولكنه كان فى مطالع شبابه قد اقام أربع سنين بفرنسا بعيدا عن المحيط العربى واستطاع فى هذه المدة أن يحتفظ لشعره بالسلاسة والعذوبة اللتين عرف بهما فى ذلك العهد بحيث كانت العبارات تسترسل فى موسيقى عجيبة ظلت طوال حياته من أسرار عظمة شعره ، ولكنه كانت تنقصه

تلك البلاغة التي عهدناها في شعره بعد ذلك ٠

ولعل هذه الظاهرة انسرحت على نثره حين كتب في ذلك العهد قصة « عذراء الهند » التي تجرى حوادثها في عهد رمسيس الثاني وصور فيها الحياة على طبيعتها وذكر الخرافات والترهات والجن والعفاريت والسحرة والكهان والرقى والطلاسم كما وصف عجائب المخلوقات مما أثار حفيظة بعض النقاد ايامئذ ، ولكن صديقه خليل مطران انصفه حين أشار الى ان ذلك تصوير للحياة كما كانت عليه في ذلك العصر فقال : « ان صاحب «عذراء الهند» ذكر فيها خرافات جدات المصريين ، وهى أشبه بخرافات جداتنا الى هذا اليوم ، لما يدل على مجانسة الفكر واتصال النسب ٠ »

على ان هجوم النقاد وقتئذ انصب خاصة على اسلوب شوقى فكتب الشيخ ابراهيم اليازجي بعد نقد طويل « ان ما اشتهر من قولهم ان كل شاعر ناثر قول لا يطرد صدقه ولا يبنى على قياس » وقال فرح انطون في مجلة الجامعة « ان قلم النثر يحسد قلم الشعر » عند شوقى ٠

ولعل شوقى احس بضعف قصته ، وانه لم يكن راضيا عنها بدليل انها ظهرت سنة ١٨٩٧ ، اى قبل طبع ديوانه «الشوقيات» بسنة كاملة، فاهمل ذكرها في المقدمة التي وضعها لهذا الكتاب والتي أشار فيها الى جميع ما كتب ونظم ٠

على ان شوقى لم يحطم قلم النثر ايامئذ بل عاد الى تاليف القصص فكتب قصة « لادياس » سنة ١٨٩٨ ، ونشر في سنة ١٨٩٩ قصة « ول وتيمان أو آخر الفراعنة » ٠

ثم انصرف شوقى الى كتابة « مذكرات بنتاؤر » في شكل محادثات تجرى بين لبد لقمان وهدهد سليمان ٠ وقدكنى بلبد لقمان عن بنتاؤر الحكيم المصرى القديم وبالهدهد عن نفسه ٠ وفي بعض هذه المحادثات اشار شوقى الى أستاذه المرصفي صاحب «الوسيلة الادبية» والى تتلمذه عليه في دراسة اللغة العربيةعندما ذكر مشاهيرالمكفوفينفقال :«او مرصفي هذا الزمان ، صاحب «الوسيلة» و «الكلم الثمان» وأول من علم الهدهد البيان » ٠

وقد ظهر الحديث الاول في عدد «المجلة المصرية» الصادر في غرة مارس سنة ١٩٠١ ٠ » والمجلة المصرية ، هذه كان يصدرها ايامئذ خليل مطران الذى مهد لنشر المذكرات بقوله انها « شذرات حكم ونثرات فكر صدم بها طائر مصر المحكى أحمد بك شوقى من على قمة الاهرام تارة وبين طلول منف وعين شمس طورا ، وذهب بها كل مذهب ، في سلسلة فصول سماها محادثات ، تناول فيها كل عبرة جليلة ، وكل معنى غريب، مؤاخذا بها غضاضة مصر الآن برفعتها فيما تقدم من الزمان ، معاتبا بالرفق ، محاسبا بالصدق »

ولا يتم المطاف فيما نثره شوقى في عهد شبابه اذا لم يشر الى بعض المقطوعات التي كان ينشرها في «المجلة المصرية» بعنوان «شذرات حكم» يدل عنوانها عليها ٠ ونجد منها فقرات قليلة منشورة في كتابه « أطواق الذهب » الذى صدر بعد ذلك بسنين مثل قوله « الدين السمح في الرجل السمح ، والجنس الكريم في الرجل الكريم ٠ فاحبب من ليس من دينك تحبب دينك اليه ، وأكرم من ليس من جنسك يكرم جنسك عليه ٠٠٠ »

ومرت سنوات طويلة لم يكتب شوقى فيها النثر، او على الاقل لم ينشر من النثر سوى مقدمتين لقصيدتين نظمهما : احداهما قصيدة « انس الوجود » التي اهداها الى رئيس الولايات المتحدة تيودور روزفلت عندما زار مصر في شهر مارس سنة١٩١٠، والثانية «النيل» التي نظمها في أوائل سنة ١٩١٥

ثم انتهى شوقى الى كتاب « أسواق الذهب » الذى يذكرنا بكتابى « أطباق الذهب » للاصبهانى و « أطواق الذهب » للزمخشرى ٠ وهو مثلهما نثر مسجوع ، وعلى غرار جمع ما كتبه شوقى من قبل ٠

والظاهر ان شوقى كان يدون أفكاره وملاحظاته العامة ، ولعله كان يريد أن ينظمها شعرا ثم تركها مقفاة كما هى ، وربط أجزاءها فما استتام كان قطعة شائقة ، وما لم يستقم تركه آراء مفردة ملأت عشرين صفحة من آخر الكتاب ٠

ولعل من الخير ان نقف عند هذه المجموعة من الكتب المنثورة قبل أن نتعداها الى غيرها لانها جميعها مكتوبة باسلوب واحد هو السجع ٠ وأن نقدم للحديث عن أسلوبها ماقاله شوقى نفسه عن النثر عند الشعراء في مقدمة الطبعة الاولى من «الشوقيات» وكانه كان يدافع عن نفسه بعد فشل قصة «عذراء الهند» قال :

« بقى استدراك لا بد من ايراده ، وذلك ان بعضهم يستنتج من كون الناثر لا ينظم ان الشاعر لا ينثر كذلك ، ولا ينبغى له ٠ وهذا وهم يدانى اليقين عندهم ٠ وقد جاوز الشعراء في الانخداع به حدا اضر بهم مع انه يكفى للخروج منه أن تعلم

ان أكثر ما اعجز به أدباء الافرنج اليوم في القصص والانشاء ، وما يمثل على اكبر ملاعبهم وتتداوله ألسنتهم من مرسل الكلم ومنثور الحكم ، وما كتب في هذا القرن والذى قبله في الفلسفة العليا والسياسة الكبرى ، انما هو من قلم مشاهير الشعراء ... على انى كنت أول من انقاد بأزمة هذا الوهم . وطالما اوذيت به فكنت اذا عرضت لى كتابة اشفق منها وأجفل عنها ... »

ولكن شوقي لم يسلك في نثره عندما نشر « الشوقيات » سنة ١٨٩٨ ، وبعد ذلك سبيل النثر العصرى على النحو الذى سلكه غيره من الشعراء ، وخاصة مطران الا في المقدمة التي وضعها ايامئذ للشوقيات والتي استشهدنا بعبارات منها ، بل قصد وهو يكتب القصص الى النثر المسجوع، وسلك فيه مسلك كتاب المقامات في الادب العربي القديم . وقد ظهر هذا النثر قلقا في « عذراء الهند » ، ولكنه لم يلبث ان استقام وبلغ الحد البعيد من الجودة والبلاغة في «مذكرات بنتاؤر» التي قال عنها خليل مطران ان شوقي « نثرها نظما أو نظمها نثرا بحيث هي الشعر أو انفس ، وهي الكلام المرسل أو اسلس» ثم بلغ أبعد حد من جمال العبارة وحسن الصياغة في « أسواق الذهب » .

كان شوقي شاعرا بطبيعته والهامه وأسلوبه ، وكانت عبقريته الشعرية لا تفارقه حتى عندما يكتب النثر ، لذلك عمد في غالب ما كتب الى السجع ، وهو الذى وصفه بانه « شعر العربية الثاني ، وقواف مرنة نابضة خصت بها الفصحى يستريح اليها الشاعر المطبوع » .

وهكذا كان شوقي حين كتب ذلك النثر المسجوع كانه ينظم شعرا أطلقت تفاعيله وقيدت قوافيه لان للقوافي موسيقى تثير رنتها خيال شوقي وتبعث مشاعره فلاتناقض اذ بين يومه وامسه ، ولاانتقاض على حكم نفسه .

ولعل هذا النثر المسجوع كان السبب في سقوط قصص شوقي الاولى « عذراء الهند » و « لادياس » «دول وتيمان أواخر الفراعنة »وكان شوقي قد أرادها ان تكون شعبية تصف لعامة المصريين بعض المعتقدات والخرافات التي كانت شائعة في بلادهم وتطلعهم على جانب من الحياة العامة فيها ولكنه كتبها بنثر مسجوع لا تستسيغه العامة ولم ترض عنه الخاصة لانه لا يوافق مدارج القصة فاهملت القصص الثلاث واصبحت للذكرى والتاريخ .

على ان شوقي حين كتب ذلك النثر المسجوع مستعرضا تاريخ مصر وآثارها ، ومدنية البحر الابيض المتوسط ، وقناة السويس ، وما اشبه ذلك في كتابيه « مذكرات بنتاؤر » و « أسواق الذهب » بلغ الغاية من الاجادة وحسن الصياغة حتى أصبح بعضها مقطوعات يستشهد بها في كتب البلاغة الحديثة وتدرس للطلبة .

بقى ان شوقي كتب نثرا غير مسجوع . كتب كذلك مقدمة «الشوقيات» الاولى (طبعة سنة ١٨٩٨) التي اشرنا اليها ، ولعله كان يكتب كذلك في رسائله الى اخوانه واصدقائه . ومن دواعي الاسف انه لم يعن أحد بجمع هذه الرسائل ونشرها . ولم يحاول شوقي السجع حين كتب للمسرح تمثيليات نثرية .

نعرف مما ذكره شوقي في مقدمة «الشوقيات» الاولى انه عندما كان بباريس كتب مسرحية بعنوان «على بك الكبير» نثرا وأرسله الى القاهرة ولكنه لم يلق تشجيعا من الخديوى ورجال القصر فطواها. ثم نظمها شعرا بعد ذلك حين أخذ يؤلف المسرحيات، اى منذ سنة ١٩٢٧ .

ولعل شوقي حينما اشتدت حملة النقاد عليه بسبب مسرحياته ، وخاصة « قمبيز » ، وقالوا عنه انه لا يحسن سوى الشعر الغنائي ، وانه يتنقل كثيرا بين القوافي والاوزان ولا يجيد الربط بين المشاهد ، شاء ان يرد عليهم فكتب مسرحية « أميرة الاندلس » نثرا .

ونثر شوقي في هذه المسرحية مركز ، وأسلوبه سلس متدفق . ولكن المسرحية لم تنجح تماما فيما شاء شوقي التدليل عليه من حيث ربط الحوادث وصور الحياة بخيوط فكرية دقيقة .

على ان شوقي أصاب هذا النجاح في مسرحية «الست هدى» وهي الوحيدة بين مسرحيات شوقي التي صور فيها جانبا من حياتنا الاجتماعية المعاصرة لأن حوادثها تجرى في حي الحنفي بالقاهرة . أما المسرحيات الاخرى فمستمدة من التاريخ .

وخلاصة القول ان شوقي كان شاعرا في نثره . ونجد في هذا النثر ملامح عبقريته الشعرية الغنائية . فقد كان شوقي بلبلا صداحا يتنقل في قصائده من غصن الى غصن ، وكذلك كان في نثره يسجع لكى تستثير القافية خياله وتستمد قلمه . ولا عجب ، فانه لايستطيع الانسان الخروج على طبيعة نفسه وخصائصه من صفات ونقائص محسوبة عليه، وما العبقرية الا مجموع تلك الخصائص ، وهي تؤلف عناصر العبقرية ، وتنشىء وحدتها ، وتتفاعل في تكوين شخصية الشاعر الكبير ، كما كان شوقي

اعلام مغمورون

محمود رشاد

أنور الجندى

فى خلال حياتنا المضطربة الماضية ، كان هناك أعلام أفذاذ يظهرون بين حين وحين ، ليقفوا موقفا مشرفا ، يستمدونه من أعماق ايمانهم بأمتهم ووطنهم ، لا يبالون فى سبيله ما يلقاهم من محنة أو هوان . يصدرون فيه عن الحق الذى يعتنقونه ، ولا تستطيع القيود والسلاسل التى تكبل الوطن كله أن تحول بينهم وبين الجهر بالحق . من هؤلاء القاضى محمود رشاد الذى حكم بتبرئة « عبد العزيز شاويش » من قضية ضخمة ، دبرهـا له الانجليز واوردوه بها الى المحاكمة ، حتى يسكتوا صوته ، وكان قلمه النارى مرا عليهم ، وقاسيا ، وقد دبروا امرهم اثر نشر مقاله عن ما اسمى قضية التاملين فى السودان وهاجم حكمهم فيها وفق البيانات التى كانت قد رددتها وكالات الأنباء عن عدد المحكوم عليهم بالاعدام والسجن ، فاضطربوا لذلك ايما اضطراب عندما وصفها بأنها « دنشواى اخرى » مذكرا بحادث دنشواى الذى وقع عام ١٩٠٦ اى قبلها بخمس سنوات وقد تجمعت ارادة القصر والانجليز على التخلص من قلم عبد العزيز شاويش النارى بتقديمه للمحاكمة ، واعدت له كل المستندات المزيفة التى تدينه ولا تسمح ببراءته ، غير أن « محمود رشاد » زيف كل هذه الوثائق وأعلن براءة الشيخ شاويش .. واضطر الانجليز ازاء ذلك الى سحب قضايا محاكمات الصحف من المحاكم المدنية ، وانشاء قوانين جديدة من شأنها أن تحاكم الصحفيين عن طريق السلطة الادارية التى يملكونها .

ولعل « محمود رشاد » فى قضية عبد العزيز شاويش ، لم يكن يواجه هذا الامر لاول مرة ، ولكنه كان قد صمد امام النفوذ البريطانى فى أكثر من موقف حتى أزعجهم ازعاجا شديدا ، فأقصوه ونحوه ، بعد أن وقفوا عقبة فى سبيل ترقيته سنوات وسنوات ، فقد عقد معاشا لابراهيم باشا فوزى القائد المصرى الذى أصيب برصاصة فى معارك السودان فعمد الانجليز الى رفض الحكم وعدم التصديق عليه ، واستصدار قرار بمنع المحاكم من نظر قضايا السودان .

وعندما حوكم الشيخ شاويش،وترافع عنه أحمد لطفى المحامى ، وقال كلاما عده المستر برونهوت نائب المستشار القضائى الانجليزى موجبا لمحاكمته وطلب من محمود رشاد القاضى ورئيس المحكمة اذ ذاك أحالته الى مجلس تاديب ، رفض رشاد وقال : ان ما قاله المحامى لم يكن الا ضربا من ضروب الدفاع التى يقولها المحامون .

فقال له : برونهوت : انت تقف لنا دائما فى الطريق !

ويقول محمود رشاد فى مذكراته « لما جاءت امامى قضية الشيخ عبد العزيز شاويش فى محكمة ثانى درجة وبرأته ، قامت القيامة على وهاج الانجليز هياجا شديدا ، واستدعانى المستر برايتون نائب المستشار القضائى وقال : سنرفع نقضا عن حكمك . فقلت له : افعلوا ما شئتم » .

ولم يكسب المستر برايتون القضية فى محكمة النقض التى أيدت حكمى ببراءة الشيخ .

فلما جاء دوره ليكون مستشارا فى الاستئناف شطبوا اسمه بعد أن رشح رسميا ، من أجل هذا استعفى وترك لهم كل شىء .

وكانت حيثياته التى سردها فى قرار الحكم قانونية واعية ، دلت على صلابته فى الحق وغزارة علمه وشجاعته .

فلما استقال راجعته الحكومة ليعود الى منصبه فأبى ، ولما الحت عليه ركب احدى بواخر النيل وسافر الى اعالى الصعيد .

وأرادت الحكومة استرضاءه بالانعام عليه بالباشوية فلما علم بذلك كتب يعتذر عن قبولها ، بل تجاوز الاعتذار الى التهديد فقال : اذا أصرت الحكومة على الانعام على فاننى اغادر القطر المصرى .

وكتب على طريقته الساخرة الى داود بركات رئيس تحرير الاهرام يقول :

كيف اقيد نفسى بهذه الرتبة واتنازل عن حريتى فلا اتمكن من ركوب الترام فى الهواء الطلق بين الناس ، واضطر الى ركوب الدرجة الاولى التى تضيق الصدر . ثم ان الباشوية ستحرمنى أكل السمك اللطيف والطعمية اللذيذة بدكان الحاج حسين بشارع كلوت بك ،

ومن قضاياه فى حماية حرية الراى تبرئته أحمد

حلمى صاحب جريدة القطر المصرى فى ١٣ مايو ١٩٠٩ من مقال كتبه يدافع عن طلبة الازهر .. وقال فى اسباب الحكم : حيث ان حرية الفكر لا حد لها فللانسان أن يفكر كيفما شاء ولا جناح عليه غير ان حرية القول محدودة كحرية الصحافة فلكل واحد الحق فى أن يبرز فكره الى الوجود وان يقول ما يريد .. » .

هذه صورة من حياة **محمود رشاد** لم يعرفها الكثيرون الذين قرأوا فصوله فى الاهرام والمؤيد والمحروسة عن رحلاته الى اوربا خلال سنوات طويلة قبل عام ١٩٠٤ ، ولعله من أوائل الرحالة العرب الذين سبقوا لبيب البتانونى ومحمد ثابت ومحمد فريد وشكيب أرسلان .

ولم تكن رحلاته ذات هدف علمى محدد ، ولكنها كانت سياحة منطلقة يكتشف بها العوالم ويكتب فى الصحف فصولا عنها ، تتميز بالروعة والطلاقة والدقة . فهو لا يكتفى بان يصور المدن والقطارات ومظاهر الحضارة ، ولكنه يربط ذلك بمشاعره ، ويأتى بالغريب اللطيف ولعله العربى الاول الذى رأى الشمس فى منتصف الليل فى شمال اوربا (اغسطس ١٩٠٤) وكتب عن ذلك فصلا رائعا فى المؤيد فقال :

« بعد عشرين ساعة من سفرنا من (ترونيم) دخلنا منطقة الشمس فى منتصف الليل ، فاطلقت الباخرة مدفعا ايذانا بذلك فتجمعنا فى مقدمتها ، ومنينا النفس برؤية الشمس ولكنها ضنت علينا بهذا المرام واحتجبت عنا وراء الغمام ، فاسفنا وزدنا شوقا الى طلعتها الغراء وكأنها أحست بكدرنا واننا جئنا من أقاصى البلاد نخطب ودها ، فرقت لحالنا وعطفت علينا ، اذ استجمعت كل قواها ، ووجهت اشعتها الذهبية الى السحب الكثيفة المتراكمة فى الجو بل أرسلت عليها شواظا من نار فبددتها ، وبرزت الغزالة من خدرها فقرت بذلك أعيننا .. » .

وله أسلوب رقيق فى عرض ملاحظاته عن أذواق الناس واساليب معاملاتهم حيث يقول « اذا دخلت فى أى قهوة من قهاويهم فأحن الرأس قليلا علامة السلام ولا تتسكع فى مشيتك أبدا ، ومتى جلست فلا تكثر من القيام والقعود ، ولا تسلم فى القهوة على من تعرفه باليد بل اكتف بالاشارة مع بشاشة فى الوجه ، ورقة ، واذا وجدت كرسيا مائلا على ترابيزة فلا تجلس عليه لان ذلك علامة عندهم على أن للكرسى صاحبا سيأتى ، واذا تكلمت فبصوت منخفض ولا تحدق ببصرك فى الداخلين والخارجين » .

ويقول « اياك ياصاح ان تجازف وتقص اظافرك عند حلاق فى اكس أو غيرها من مدن اوربا ، وعول على مقصك ، وقلم اظافرك بنفسك ، فان قص اظافر اليدين أجرته ثلاثة فرنكات أى أكثر من أجرة حلق الرأس والذقن معا .. فاحمد الله على ما انت فيه من الرخاء وادع لحلاق سيدنا الحسين وباب المزينين بطول العمر والبقاء .. » .

وهكذا يمضى فيحصى ملاحظاته الدقيقة عن كل ما يشاهده ، ويصف مصارعة الثيران وزيارة الحجاج النصارى للكنائس الكبرى ، وكان جريئا لايخشى شيئا واحيانا يسمع عن الكوليرا فى مدينة كالبندقية مثلا فيقول « ولكنى لم أعبأ بها وتوكلت على الحى الذى لايموت وابحرت .. » .

وحينما يذهب الى الروسيا ، المجر ، رومانيا ، تركيا ، السويد ، النرويج يتحدث عن الملابس واللغة والمبانى والمحاكم والشوارع والاطعمة .

وقد هاجم الأوربيين لأنهم يأكلون الشحم فقال « انى لفى عجب من ان الاورباويين المشهورين بحسن الذوق والتفوق فى كل شىء ، يقبلون مزج مأكلهم بهذا الشحم العسير الهضم ، الكريه الطعم ، صدقنى ان ليس فى الدنيا أكل افخر ولا الذ من اكل المصريين والاتراك والشوام والمغاربة وباقى الشرقيين ، والاكل الفرنساوى عندهم خير المآكل ، ولكنى اراه بعد الاكل الشرقى ، طبخ الخضروات لا طعم له ولا لذة ، وان كنت لا أنكر تفوقهم فى تنسيق المائدة وادوات الاكل وحسن الخدمة ... » .

فاذا تحدث عن القسطنطينية واستانبول ، مضى يورد التاريخ ويخلطه بالواقع ، ويجرى خلال ذلك احاديث مع القساوسة والعلماء ، فاذا مر ببوغاز سلاميس تحدث عن الواقعة البحرية بين الفرس واليونان وانتصار تمو ستوكل بطل اليونان على اكزركيس ملك العجم .

وهكذا اغنى « **محمود رشاد** » الادب العربى الحديث باحاديثه عن الرحلات وكلها ماتزال فى بطون الصحف لم يطبع منها فى كتاب الا (رحلة روسيا) وله بحث فى دار آل لقمان : وكتاب كنوز الذهب فى التربية والادب . ولد ١٨٥٤ وتوفى سنة ١٩٢٥ . دخل مدرسة المشاة البيادة فى أول عمره ثم كان من ضباط الجيش ، ولم يلبث أن تحول الى وزارة المعارف مفتشا واشترك فى مؤتمر المستشرقين الدولى فى فينا ، ثم عمل قاضيا بالمحاكم حتى اعتزلها على أثر الاحداث الوطنية التى كان فيها مثلا للنزاهة والشجاعة ، وشىء آخر من تاريخه لايعرفه الكثيرون : انه الشقيق الاكبر لشيخ العروبة احمد زكى باشا وهو الذى رباه وكان لايذكره احمد زكى الا بقوله « الوالد الشقيق » .

أنا وهي

للشاعر : ابراهيم عبدالحميد عيسى

ما بين ثغرك يا هواى وبين جفنك لى قدر
يمضي بنـا فى رحلة الاشواق صداح الوتر
ويصب ايامى بكاسك .. يا رحيقى المنتظر
وتسير قافلة الزمان بنـا .. ولا ندرى المقر
اهواك يا قدرى .. واهوى ان يطول بنا السفر
واعيش فى عينيك ايامى .. واستبق المنى
وتذوب اشواقى .. ولا ادرى بقربك من انا

***

هل تذكرين الفجر لما مد للاهداب ظله
والليل .. اذ سرقت يداه من دجى جفنيك كحله
وانيت تبتسمين فى طهر العبير .. بروح طفله
فخلعت احلامى عليك .. وبعت ايامى بقبله
وضممت كفك فى يدى فضممت فيها الكون كله
حتى اذا جن الحنين .. وشب نارا حولنا
ذبنا .. فلم ندرك آانت على ذراعى .. ام انا ؟

***

حتى اذا احتشدت عيون الناس فى لغة مريبه
وتزاحمت سحب الظنون على مغانينا الرحيبه
اسدلت حول صباحنا .. ليل الخصومة .. يا حبيبه
وخبأت فى قلبى الوجيب .. وصنت عن دمعى لهيبه
ونما الاسى فى خاطرى .. وسقى اناشيدى نحيبه
فمشيت فى صمت الدموع .. لكى نداري حبنا
وكاننا .. لا انت فى قلبى هواى .. ولا انا

***

فاستانست عين تعيش على الدمار .. بلا ضمير
لما رات نارى تئن وتستجير .. ولا مجير
وعلى جفونى دمعة .. حيرى .. معذبة المصير
فنشرت قلبى خيمة .. تلقى الظلال على الهجير
حتى اذا نامت عيون الشر .. وانطفا السعير
حطمت ابعادى .. وجزت اليك آفاق السنا
وزرعتنى فى جانبيك هوى .. لاعرف من انا

حتى لا يسقط القمر

للشاعر: عبده بدوى

١ — الحنين

قد جاع الرمل الى الخضره
ولدقة منقار غرد
ولجدول ماس منهمر
ولفرحة انسان يشدو
ولبذرة نور طيبة
.. لحظات وارتعشت بطن
ثم انفجرت . طالت . غنت
حطت فيها باقة طير

ولظل ريان النبره
يرنو ، ويسقسق فى النضره
تزهو فى ضفته القطره
ويفكر . يمعن فى الفكره
قد حملت اسرار الخضره
وتكور نور فى دوره
شدت من عالمنا نظره
ثم انهمرت فيها الهجره

٢ — الامل

الارض تغير محورها
والعقم تأوه ، وانتفضت
والنفس تراءت جوهرة
.. وغدا فى القلب وفى عقل
وبجنة شدو يانعة
وبغنوة ملاح امل
وبجلسة شيخين انهمكا
وبفرحة عمرين اعتنقا
وبحلم الطير ، واغنية
وبنظرة ود فى مره !

والخصب توهج فى البذره
من بين تأوهه الزهره
وقصيدة نور مفتره
وبعزم الشعب وفى القدره
وبعش لم ينكر طيره
وبجبهة فلاح سمره
ما بين كتاب والابره
وادارا « موسيقى المحجره »
ورجال تحتضن الثوره
وحنان انامل فى مره !

٣ — الخوف

واليوم .. يحس ببغضاء
وبيوم ، وعيون حول
تتهامس « فلترحل عنا
وتصيح — وفى الأفق غناء
وتدب — وكف راحمة
.. فلتحرس بابك فى عزم
ولتحفظ رأسك فى رعب
ولتحم الارض فقد هبت
ولتبق النور .. فهذا الليـ
ولتصرخ فالقمر الباكى

ووجوه تفضحها الصفره
وبدود يكثر فى حفره
لرمال باهتة . غبره »
وصفاء نفوس لم تكره —
تسقيها الاحلام الحره —
فعليه قد نقرت نقره
فعليها قد همت صخره
فى الأفق الرائحة المره
ـل طويل لن يلقى فجره
يتوارى ! يغدو كالعبره !

نظرات حول كتاب الله

محمد محمود شمس

التعدد المشاهد لتناول كتاب الله يوشك ان يلون هذا النص المقدس بثقافات متباينة يصعب على الناظر المدقق انيرى مجال النص فيضوئها لطغيان المادة المعاصرة التى تلونه فتقصيه عن مجاله ... وعن مجال الدين ، وكاد هذا التعدد المتطرف يؤكد ان نظرنا فى هذا الكتاب الكريم مازال قاصرا .. مشتتا .! ، ذلك اننا نحاول البحث فيه عن كل شيء ،

وتلك كانت نظرة المفسرين المتقدمين ، فقد خلفوا لنا الوان ثقافاتهم حول نصوص كتاب الله ، فمن التفسير بالمأثور .. الى التفسير الاعتقادى .. الى التفسير الصوفى .. الى الشيعى .. الى تفسير المجددين فى عصرنا الحديث ، ومن تفسير لغوى ، الى نحوى الى ادبى .. الى فقهى .. الى علمي .. وقد نرى تفسيرا ذريا فى أيامنا القادمة . !

ويقرر الامام الغزالى « ان كل ما اشكل فهمه على النظار ، واختلف فيه الخلائق ففى القرآن اليه **رموز** ودلالات عليه ، وان القرآن **يشير** الى مجامع العلوم كلها » ، « ولو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى » .

ولكن هل تقف هذه الرموز والاشارات بجانب التفاصيل والنظريات الدقيقة للعلوم والفنون المختلفة التى وصل اليها العقل البشرى ، فيصبح القرآن الكريم احد مراجعها ، ام اننا ندلل بهذه الرموز والاشارات على مجرد المسايرة ، مسايرة هذا النص المقدس لكل ابداع انسانى فى اى زمن وفى اى مجال ؟! ام اننا نعيد بذلك ثقتنا فى كتابنا المقدس على نحو يرضي طابع العصر ، فنعتبره كتاب علم ، وادب ، واقتصاد وثروات طبيعية .. وتصنيع .. الخ ؟! ونظلمه حين نلهث به وراء هؤلاء وهؤلاء .

الاستاذ الامام محمد عبده رحمه الله يرى ان الاكثار فى مقصد خاص من هذه المقاصد يخرج بالكثيرين عن المقصود من الكتاب الالهى ، ويذهب بهم فى مذاهب تنسيهم معناه الحقيقى ، ويرى ان التفسير قسمان : احدهما جاف مبعد عن الله وكتابه وهو ما يقصد به حل الالفاظ واعراب الجمل ، وبيان ما ترمى اليه تلك العبارات والاشارات من النكت الفنية ، وهذا لا ينبغى ان يسمى تفسيرا ، وانما هو ضرب من التمرين فىالفنون كالنحو والمعانى » .

حتى يرى ان « الاحكام العملية التى جرى الاصطلاح على تسميتها فقها هى اقل ما جاء فى القرآن » ثم يقول كذلك : « والتفسير الذى نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم فىحياتهم الدنيا ، وحياتهمالآخرة ، فان هذا هو المقصد الأعلى منه ، وما وراء هذه المباحث تابع له ، او وسيلة لتحصيله » الى ان يقول « التفسير الذى قلنا انه يجبعلى الناس على انه فرض كفاية ، هو ذهاب المفسر الى فهم مراد القائل من القول ، وحكمة التشريع فى العقائد والاخلاق والاحكام على الوجه الذى يجذب الأرواح ويسوقها الى العمل ، والهداية المودعة فى الكلام ليتحقق فيه معنى قوله « هدى ورحمة » .

والأستاذ الامام رحمه الله حين يحدد مجال النظر فى النص المقدس على هذا النحو ، انما يعتمد فى ذلك على آيات القرآن نفسه :

« ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين » .

« فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم » .

« فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » .

« ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله »

« شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

« وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس »

ولكن الأستاذ أمين الخولى يرى ان هذا المقصد الذى قال به الأستاذ الامام تلوين هو الآخر ، فهذا المقصد فى رايه « ليس الغرض الاول من التفسير ، وليس اول ما يعنى به ، ويقصد اليه ، بل ان قبل ذلك كله مقصدا اسبق ، وغرضا أبعد ، تتشعب عنه الاغراض المختلفة ، وتقوم عليه المقاصد المتعددة ولا بد من الوفاء به قبل تحقيق اى مقصد آخر ، سواء اكان ذلك المقصد الآخر علميا او عمليا ، دينيا

ام دنيويا ، وذلك المقصد الاسبق والغرض الابعد هو النظر في القرآن من حيث هو كتاب اللغة الاكبر، واثرها العظيم . »

بل انه يذهب الى ابعد من ذلك حين يقول : « ولتلك الدراسة الادبية اثر عظيم كهذا القرآن هي ما يجب ان يقوم به الدارسون .

اولا — ولو لم تنطو صدورهم على عقيدة ما فيه او انطوت على نقيض ما يردده المسلمون الذين يعدونه كتابهم المقدس ، فالقرآن كتاب الفن العربي الاقدس ، سواء انظر اليه الناظر على انه كذلك في الدين ام لا .

وبدلا من ان نسال كيف يكون الحكم او الدراسة اذا ما تخلينا عن احساسنا الديني في مواجهة النص؟! وهو نص ديني ، لا هو بالنثر ولا هو بالشعر ؟! نجد النظرة الادبية لكتاب الله ، او لما ينبغي ان يكون عليه تفسير هذا النص المقدس) لا تقبل ترتيب آي القرآن ، فكارليل مثلا يعيب على القرآن نقص الترتيب فيه وانه لا يسير على نظام منطقي معقول وليس به تسلسل فكري منظم ، وفيه تكرار لا غاية له ، وانه مما لا يستسيغه رجل أوتي حظا عاديا من الذكاء .

والاستاذ امين الخولي يقول « والقرآن كما هو معروف ، لم يرتب على الموضوعات والمسائل فيفرد كل شيء منها بباب او فصل ، يجمع ما ورد فيه عن هذا الموضوع ، او تلك المسالة فليس على ترتيب كتب العقائد على مافيه من اصول التشريع ، ولا هو كذلك على نسق كتب الاخلاق او التاريخ او القصص، ولا غير ذلك ، بل ليس على ترتيب كتب الدين ، حين افردت احداث الحياة باسفار عنونت كل سفر منها بحادث ، او حين جرت على تسلسل حياة فرد خصت كل حين منها بقسم ، كما لم يرتب على شيء من تاريخ ظهور آياته ، انما جرى القرآن على غير هذا كله ، تعرض لكثير من الموضوعات ، ولم يجمع منها واحدا بعينه ، فيلتقي اوله بآخره ، انما نثر ذاك نثرا ، وفرقه تفريقا ، فالحكم التشريعي في اكثر من موضع والاصل الاعتقادي قد عرض له غير مرة ، والقصة قد وزعت مناظرها ومشاهدها في جملة اماكن » .

وعلى هذا يرى الاستاذ امين ان يفسر القرآن موضوعا موضوعا ، لا ان يفسر على ترتيبه في المصحف الكريم سورا او قطعا .

وترتيب الآيات في السور ترتيب توفيقي ، لا انساني ، ولا اجتهادي وهو من عمل الله سبحانه وتعالى . ولكن التفسير الموضوعي يأتي أولا « ثم ان كانت للمفسر نظرة في وحدة وتناسب آيها ، واطراد سياقها ، فلعل ذلك انما يكون بعد التفسير المستوفي الموضوعات المختلفة منها » !

ومن حيث ان القرآن تعبير قد لا يرجح القول بأن التفسير الادبي او البياني تلوين هو الآخر ، والدكتور محمد كامل حسين يرى ان القرآن « تعبير تام كامل عن الروح العربي البدوي الصحراوي » وكذلك جعلناه قرآنا عربيا ، وبديهي ان هذا لا يمس انسانية الرسالة موضوع النص المقدس .

ولكن ما القول في مؤلفات الاستاذ عبد الرازق نوفل « القرآن والعلم الحديث » . « والثروات الطبيعية والتصنيع من خلال آيات القرآن الكريم » عنوان مقالات فضيلة الشيخ **محمد محمد المدني** الاخيرة بالرسالة .

ان جولد تسيهر يستهل كتابه مذاهب التفسير الاسلامي بقوله : « كذلك يصدق على القرآن ما قاله في الانجيل العالم اللاهوتي التابع للكنيسة الحديثة « بيتر فيرنفلس » « كل امرىء يطلب عقائده في هذا الكتاب المقدس ، وكل امرىء يجد فيه على وجه الخصوص ما يطلبه » .

وقد رأينا ابن عربي يقول :

عقد الخلائق في الاله عقائدا
وانا اعتقدت جميع ما عقدوه

ويجد لذاك سندا من كتاب الله .!

فلو شاء باحث مثلا ان يخرج علينا بحديث عن جولد وونر ومبادئه من خلال آيات القرآن الكريم لاستطاع ، ولوجد من الآيات البينات ما يسعفه !

ولكن المحك الحقيقي للنص المقدس ، هل اوفيناه حقه ؟!

ان البشرية شبعت علماء وادباء وثروات طبيعية وتصنيعا ، ولكنها احالت الارض الى غابة توشك ان تندلع نارها . . .

وليس غير الكتب المقدسة والرسالات السماوية بقادر على هداية الانسان الى مثله وعقله وربه .

« محمد محمود شمس »

افريقيا في الشعر العربي

بقلم عبد الرحمن البجاوى

« اننا لن نستطيع بحال من الاحوال ـ حتى لو اردنا ـ ان نقف بمعزل عن الصراع الدامى المخيف، الذى يدور اليوم فى اعماق افريقيا ، بين خمسة ملايين من البيض ، ومائتى مليون من الافريقيين .. ولسوف اظل احلم باليوم الذى أجد فيه القاهرة معهدا ضخما لافريقيا ، يسعى لكشف نواحى القارة امام عيوننا ، ويخلق فى عقولنا وعيا افريقيا مستنيرا ، ويشارك مع كل العاملين من كل انحاء الأرض على تقدم شعوب افريقيا ورفاهيتها » .

الجزء الثالث من (فلسفة الثورة) للرئيس جمال عبد الناصر .

***

وان الناظر الى الأدب العربى الحديث ، خاصة فى النصف الثانى من هذا القرن ، ليروعه هذا الحصاد الافريقى الهائل من اعمال الكتاب والادباء والشعراء ، الذين استطاعوا أن يجسموا المشكلة الافريقية ، ويعرضوا لوحاتهم الرائعة ، وما انتجته قرائحهم ، بين الحين والآخر ، على أذهان الشعب العربى ، الذى هب باحثا عن الكنز الضائع فى الواحة العذراء ، وانطلق من قمقمه محطما ما أمامه من عقبات وعراقيل .

واخذت شلالات الضياء تتدفق عبر افريقيا من حوض النيل خاصة ، ومن القارة كلها عامة ، وبدأ الافريقيون يتحسسون وجودهم ، ويتنسمون عبير الحرية والكرامة والاستقلال مع انفاس السحر ، واخذت نبضات قلوبهم تزداد وضوحا على مدى الايام ، وتتابع الأعوام .

واتسمت اعمال الفنانين بسمات متباينة الا انها كانت جميعها تصب فى مصب واحد ، وتلتقى عند غاية واحدة ، وهى بعث افريقيا . وانتفضت الغابات ، ودوت القمم ، وفارت البراكين مرسلة شواظا وصواعق مزمجرة ، ولم تكد تمضى الحلقة السادسة من هذا القرن حتى استردت معظم شعوب القارة كيانها ، كما دوت اصداؤها فى المؤتمرات الدولية التى كان آخرها مؤتمر القمة الافريقى «باديس أبابا» .

ونود أن نسجل هذه الظاهرة التى اتسمت بالوضوح والعمق والايجابية ، وهى التفاف كثير من الشعراء فى مصر ، والسودان ، ولبنان ، وسوريا والعراق ، والجزائر ، والمغرب العربى ـ حول قلب افريقيا ، ورسم صورة واضحة المعالم لهذه القارة السوداء البكر ، أو التى لا أصحاب لها ، كما أطلق عليها الأوربيون .

وليس فى امكاننا ان نجمع خيوط المأساة ـ كما صورها الشعراء فى كل مكان ـ ولكننا سنحاول أن نرسم صورة لأفريقيا من خلال كتابات شاعرين احدهما سودانى نشأ فى مصر ، والآخر مصرى صميم ، بل من خلال ديوانين فقط هما : اغانى افريقيا ، وباقة نور .

اغانى افريقيا للشاعر محمد مفتاح الفيتورى

هذا الديوان – كما يدل عنوانه – يضم طاقة هائلة من الشعر الافريقى ، الذى يرسم صورة بارزة المعالم للقارة ، صورة استطاع الشاعر ان يحدد اطارها ، ويفتن فى بسط ظلالها والوانها ، وان يخلع عليها سر مأساته كانسان يحس بواقعه المرير .. انسان تتضارب فى اعماقه التفاوتات الكبيرة بين بنى الانسان ، وتلهبه سياط المعركة الدامية ، وتؤرقه صرخات الراقدين على الاشواك، المصلوبين فى حرارة القيظ وصبارة القر .

ويبدأ (الفيتورى) ديوانه بقصيدته «احزان المدينة السوداء» التى يستهلها بقوله :

على طرقات المدينة
اذا الليل عرشها بالعروق
ورش عليها أساه العميق
تراها مطاطئة فى سكينه
محدقة فى الشقوق
فتحسبها مستكينة
ولكنها فى حريق ..

ثم يصور قلب هذه المدينة الملفعة بالسواد .. قلبها الذى اصبح شيئا تافها لا يعبأ به :

ويصبح قلب المدينة .
كشىء حقير .
كمدفأة فى الهجير .
كمسرجة فى طريق الضرير .
كافريقيا .. فى ظلام العصور .

ويسترسل فى تصوير قلب القارة العجوز التى تصدر القطعان الهائلة من العبيد :

وسفن معبأة بالجوارى الحسان
وبالمسك ، والعاج ، والزعفران
هدايا بلا مهرجان ..
تسيرها الريح فى كل آن ..
لأبيض هذا الزمان ..
لسيد كل زمان ..

حتى اذا ما انتهى من رسم لوحة تفيض بالأسى، وتقطر حزنا .. صورة بدينة تغلى احقادها كمرجل نجده ينتقل الى «البعث الافريقى» حيث يدعو القارة الى التحرر من عبودية الأسر ، وتحطيم نيرها الذى نصبه الأعداء .. يدعو القارة الى الخلاص من هذا الجحيم ، ويسائل القارة فى مرارة بالغة :

اكل ماعندك ان تصبحى
مزرعة ، للارجل الزارعة ؟ !
اكل ما عندك ان تلعقى
احذية المستعمر اللامعه ؟!
اكل ماعندك ان ترقدى
خاملة ، خائرة ، خاضعة ؟!
اكل ما عندك ان تضحكى
هازئة بالقيم الرائعه ؟!
اكل ماعندك ان تصدرى
قوافل الرق – ياضائعه ؟!

وبعد ان ينادى افريقيا ان تعصف بالابيض المعتدى عليها .. يقول فى اصرار المؤمن بغده الباسم :

آن لهذا الأسود المنزوى
المتوارى عن عيون السنا
آن له ان يتحدى الورى
آن له ان يتحدى الفنا
فلتنحن الشمس لهاماتنا
ولتخشع الأرض لأصواتنا
انا سنكسوها بأفراحنا
كما كسوناها بأحزاننا
اجل : فانا قد أتى دورنا
افريقيا .. انا اتى دورنا !!

وفى «ثورة قارة» نجد الشاعر يلتقط صورة طفل ينادى والده بأن يقتل هذا الذى (يبصق فوق الأرض مستكبرا) ، وصورة شيخ مقعد شاهد منذ صغره اخوته حيث (مشوا عبيدا تحت ثقل القيود) ، يعذبون بسياط السيد الأبيض :

وحينما قلت : الى أين هم
ماضون ! قالوا : نحو أرض بعيدة
وحينما قلت : ألن ترجعوا ؟
مات الصدى فوق الشفاه البليده

حتى اذا صرخت فتاة عارية تقول فى حسرة : هنا هنا ، وراء هذا الجدار اللامع المطلى بأحزاننا يضطجع السيد فى جنة مسقوفة بعظم اجدادنا حينذاك قاموا فى ثورة هائلة :

وانتصبت أذرعهم في الدجى
مثل محاريث علاها الصدا
وعندما جاء الصباح الجديد .
كان اللظى ملء روابيها

ويدعو الشاعر أخوته في كل مكان ليقص عليهم قصته .. قصة الانسان الذي مشى على الشوك ازمانا وازمانا) ، (وعانق الارض جوعانا وعريانا) ، انسان سخره الجلادون . وتجرع في مرارة كئوس العذاب المترعة ، واحس بمأساة الانسان الغابر الذي كان حذاء لسيده .. فيقول في قصيدته (اغاني افريقيا) :

يا اخي في الشرق في كل سكن
يا اخي في الأرض في كل وطن
انا ادعوك فهل تعرفني ؟
يا اخا اعرفه رغم المحن

وبعد أن يذكر لاخوته (في كل سكن) بمأساته التي الهبت جوارحه ، يبين حقه المسلوب في افريقيا التي دفن فيها آباءه واجداده ، والتي لم تكن وطنا لغيره يوما ما فيقول :

ها هنا واريت اجدادي هنا
وهمو اختاروا ثراها كفنا
وسأقضي انا من بعد ابي
وسيقضي ولدي من بعدنا
وستبقى ارض افريقيا لنا
فهي ما كانت لقوم غيرنا

وكم كان الشاعر يأسى لضياع وطنه الكبير ، الذي دنسه المحتلون ، ونهبوا خيراته وكنوزه ، ولم يكن يائسا من صباح البعث ، بل كان مؤمنا اعمق الايمان بان الطوفان لا بد ان يفيض ، ويجتاح الركام ، وينطلق لا يلوى على شيء ، وها هو في قصيدته « الطوفان الأسود » يصور لنا أفريقيا ، وقد انتفضت كالمارد العملاق ، بعد أن كانت تخر تحت وطأة القيد أعواما طويلة ، وتئن مثقلة بريح الآلام :

كذلك عشت ألوف السنين
تخرين فوق خطايا وئن
الى أن تسلل ضوء الصباح
اليك ، فمزقت عنك الكفن

وقمت كماردة تتلقى الضـ
حى ، وتحول مجرى الرياح
وتحفر تاريخها من جديد
على جبهة الشمس حفر الجراح

لقد كان الشاعر يحمل افريقيا في دمائه ، ويعبدها في كبرياء ، كانت روحه تنشق عبيرها الفواح ... ويا كم تذكر صورتها كامراة تنسج اكفانها في سكون ، وتجتر آلامها في صمت ، وتقف مطرقة على الهوان لترى .. ولكن ماذا رات ؟

ورات في نظرة او نظرتين
سفنا تزاحم أعماق البحار النازحه
سفنا تغدو ، وأخرى رائحه
سفنا مكتظة بالأسلحه
ورات كيف يدوس الطاغيه
فوق اقداس بلادي
ورات في نظرة واحدة او نظرتين
كلمة يكتبها الأبيض في ليل بلادي :
(يا بلادي)

لقد اصبحت افريقيا وطنا للاعداء دون سند من الواقع أو التاريخ ، حتى اذا ماحان فجر الثورة :

هب من كل ضريح في بلادي
كل ميت يتدثر
كل روح منكسر
ناقما على البشر
كل اعداء البشر

وهكذا نجد (الفيتوري) في (أغاني أفريقيا) صادق الوجدان ، قوي الاحساس بمأساته كانسان يعيش في افريقيا ، وتسبح رؤاه خلف غاباتها وتلالها وسهولها ووديانها . ويعيش في زوايا الأكواخ والأعشاش ، ونجده كذلك مرتبطا اشد ارتباط واوثقه بالكيان الأفريقي الذي جاهدت من أجله — ومازالت — شعوب القارة ، وتتضح انسانيته في مواقفه المعبرة تجاه هذه القضية الكبرى — قضية التفرقة العنصرية التي كانت سائدة في جنوب افريقيا ، وكان مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ مجالا ظهرت فيه صورة افريقيا الحقيقية التي رسمها ابناؤها بدمائهم ، ولونوها بشعورهم ، وها هو (الفيتوري) يصور مقدار ما كان يحس به من فرقة متباينة بين بني جلدته فيتوجه ، الى وجه أبيض ، نائلا في امتعاض :

الآن وجهي أسمر ، ولأن
وجهك أبيض سميتني عبدا
ووطئت انسانيتي ، وحقرت
روحانيتي ، أصنعت لي قيدا ؟!
وشربت كرمي ظالما ، وأكلت
بقلي ناقما ، وتركت لي الحقدا
ولبست ما نسجت خيوط
مغازلي ، وكسوتني التنهيدا والكدا

الى أن يوجه خطابه الى أخيه الانسان .. ويحذره الا يبذر بذور العداوة كيلا يحصد شوكها ، أو يزرع له العوسج مادام قد زرع له الورد ..

اني أخوك فلا تعق أخوتي
فتريد بركانيتي وقدا
اياك لا تبذر بذور عداوتي
فتعود تحصد شوكها حصدا
اياك لا تزرع حقولك عوسجا
اني زرعت حقولي الوردا

هذه هي الصورة التي رسمها الفيتوري في (أغاني افريقيا) الذي صدر سنة ١٩٥٥ مبشرا بيقظة افريقيا وانطلاقتها الثورية الكبرى ، مؤكدا اصرارها على اجتياح الاعداء ، واعادة تاريخها وحقوقها لذويها .

ولننتقل الى الديوان الثاني :

باقة نور للشاعر عبده بدوي

واول ما يخطر بذهن القارىء أن يتساءل عن مضمون (باقة نور) ، ولكننا حين نفتح الديوان نجد الشاعر يهديه قائلا : « الى القارة التي أعيش بضوئها وحبها ، والتي أحنى على بابها برمح واصرار .. الى افريقية » . فاذا هذه الباقة مهداة الى القارة التي الهمت الشاعر هذا الرصيد الهائل من الشعر الافريقي ، فتنقلنا بوجدانه الى أحراش افريقيا ، في غانا ، وفي كينيا ، وفي السودان ، واستطاع ان يصور في صدق مقدار ايماننا بهذه القارة التي نحرس بابها الشمالي — كما عبر الرئيس — وقبل أن نتحدث عن افريقيا في (باقة نور) يجدر بنا أن نشير الى أن هناك لمحات عن الافريقية في ديوان الشاعر الأول (شعبي المنتصر) الذي صدر عام ١٩٥٨ ، وقد سبق أن تحدث عنه الشاعر سعد دعبيس في مقال سابق بالرسالة .

واما (باقة نور) فنجد الشاعر فيها قد «أخذت آفاقه الانسانية تزداد اتساعا ، فلا تشمل وطنه وحده ، بل تمتد لتشمل جميع الأوطان المناهضة المكافحة ، في قارتنا الافريقيه — كما عبر الدكتور مندور .

واول القصائد الافريقية التي تقابلنا في الديوان قصيدة « لا صديق للزنوج » استوحاها الشاعر — كما قال — من قصيدة للشاعر الافريقي «ارماتو» يقول فيها : « ليس من شيء صديق للزنوج سوى الأرض ، والسماء ، والعواصف ، والأمطار ، والبعوض ونجد الشاعر يذكر في هذه القصيدة مقدار مايحس به الزنجي من ذلة ومهانة ، وكيف ضاعت أيامه على يد أعدائه هباء فيقول :

فالأرض تعرف ذلنا ووجوهنا المستفهمة
والنار في اعماقنا المنزوفة المتسائلة
هو قد اقام بوجهنا في غير رفق مرسمه
ومضى يدحرج يومنا ، بين الفجاج المظلمة !!

وبعد أن يتحدث عن الأفق الذي رنت به أصداء الزنوج .. عن الريح العاصفة التي لاترحم عششهم يصور كيف يأتي البعوض ليمتص عرق الحياة ، ويستنزف دماءهم :

بينما نجوع نرى البعو
ض يهز فيننا موسمه
ما جاء من عرق الحياة
بريقه في غمغمه
يمتصه في خطفة
في نقرة في دمدمه
فنصرى به ايامنا
وحياتنا المتلعثمه

ثم ننتقل فنجد « الرائحة » رائحة الحرية كما قال الشاعر « دافيد ديوب » ويصور لنا الشاعر في هذه القصيدة مجد افريقيا المؤثل ، وان ابناءها لا يجدر بهم أن يجحدوها ، لأنها وان ذاقت المر ، فقد آن لها أن تولد من جديد ، تفوح من اردانها روائح الحرية العبقة .. وهاهي القارة تتوجه الى احد ابنائها قائلة :

ولدي لا تظلم ايامي
لاتذرف من اجلي عبره
قد كنت جديرا ان تلقى
في عروة ايامي زهره

فلقد قاتلت هنا المجهو
ل لقد عمقت هنا سره !
دورت الشمس ، نحوت الأرض
كسوت روابينا خضره

وبعد أن تعود القارة مفتخرة بماضيها المجيد ، تدعوه أن ينظر الى الآفاق ، وحينئذ ...

تبصر قلبي يمتد ، بريح
على أفق حسان صدره
تلقى عصفورا يدعوني ويعيد بأغصاني نقره
وثماري يكسوها أرج فضي ، مبحوح النبره
شجر الحرية حين يدور برقرق رائحة مرة

ثم يحدثنا الشاعر عن «قصة نكرومه» والأسطورة الشعبية القائلة بأن نكروما حين اعتقله الانجليز كان يخرج من السجن على هيئة قط .. ثم يصيح : يا غانا ، وحينئذ يجيبه كل شيء فيطمئن الى بلاده ويعود الى السجن ..

ونجد في (باقة نور) درامتين سريعتين : احداهما عن « الشاعر والفجر والافريقية » ، تدور بين شاعر يريد أن تتحرر بلاده ، ويصمم على مجاهدة البيض بشتى الوسائل ، ويتحمل العذاب من أجل افريقيا ، وبين جمع من الافريقيين كانوا يائسين من النصر أولا حتى اذا أيقظهم الشاعر قائلا :

بي شيء حر يدفعني أن أشهد من وطني سحره
ساظل احدق طول الليل هناك لكي القى فجره
لن اخشى الموت وفي قلبي أمل يتفتح كالزهرة

فاذا الجميع يقولون في اصرار :

الليلة ، سوف ندق الأفق لنعلن ميلاد الثورة

والثانية : عن « **الأرض العالية** » ، وهي من ثلاثة فصول ، واهم أشخاصها جومو ووالده ، اللذان يظهران في الفصل الاول ، فنجد الوالد يقول في نبرة كلها حزن ويأس وأسى :

انا لا نملك فرحتنا لا نملك ياولدي الغضبة

ولكن ابنه (جومو) كان يصر على الخلاص ، وكانت تؤرقه الاحداث والذكريات التى عاشها .. وها هو يقول لوالده :

اتبع أحزانا راحلة
تتلفت تمشي في هيبه
وهناك تذكر نيرانا
وجباها سودا في حلبه
وغناء للشجر النامي
يتماسله فوقي كالقبه
وتذكر كوخا محزونا
وأنا أعدو اقفو دربه
ورياحا بالموز التفت
رفت ، دارت ، الفت ثوبه!

وفي الفصل الثاني تظهر شخصية جورج ووالده ويدور الحوار بينهما على عكس ما كان في الفصل السابق حيث أن جورج هنا نجده مصرا على الجلاء ، وعدم خوضه معركة مع السود ، ويرى أن الفوت أحق به أهل الارض .

وأحق به من فوق فمي كف صهرته في سحره

ولكن والده كان عنيدا ، ويرى أن هذه الارض ملك له ، ويحاول جاهدا أن يقتل السود ، فاذا ما قتل (جومو) الزنجي سارع (جورج) الى والده الانجليزي قائلا :

لا تضرب انى أحميه
بالصدر هنا احمى صدره
الأسود لون الحقد هنا
والكره عناقيد مره

ولكن والده يستنكر فعله الا أنه قال له :

... لست إبنا للطغيان ، لحقد لا ينسى شره ! !

وفي الفصل الثالث نجد والد جومو يقول لرفيقه:

يا (جامبو) كم حنت روحي
للأرض العاطرة النسمه
لصباح طفل مزهور
يتعلق في كتف القمه

وتهيج أحزان (جامبو) وبينما هما يتحادثان ، سمعا وقع أقدام تشق طريقها في اضطراب ، ويظن الوالد أن ابنه (جومو) عائد ، ولكن أحلامه تتبدد وسرعان ما يجد (جورج) قادما وكأنه في سمته (جومو) . حتى اذا برزت الحقيقة استيقظ الوالد واستيقظ الشعب ، ويقرر (جورج) الرحيل النهائي قائلا :

لي وطن – مثلك – منتظري .

وهذه الدراما هي بحق من أروع ما في الباقة التي اتحفنا الشاعر فيها بهذه العواطف الجياشة ، والصور الشاعرية والحوار الممتع .

وهكذا نجد صورة افريقيا واضحة عند كل من **الفيتوري ، وعبده بدوي** ، وفيما قدمنا خير شاهد على مقدار ايمان الشاعرين بالبعث الافريقي وعدم تخليهما عن الأمانة التى حملاها على عاتقهما . ويؤكد هذا ما سبق أن قال الرئيس به « لن نستطيع أن نقف بمعزل عن الصراع الدامي المخيف الذي يدور في أعماق افريقيا .. لا نستطيع لسبب هام وبديهي ، هو اننا في افريقيا » .

عبد الرحمن البجاوى

البترول

وكيف نحصل على زيته

بقلم: نبيلة محمد عطية الابراشى

لقد حصل الانسان منذ آلاف السنين على الزيت من النبات كزيت الزيتون ، وهو صحى ، يستعمل للطعام ، وكان يستعمل قديما فى اضاءة المصابيح بالمنازل ، وقد قرانا عنه فى التوراة ، وهو الكتاب الذى انزل على موسى عليه السلام .

ومن الزيوت النباتية الزيت الذى ناخذه من بذرة القطن ، وزيت بذرة الكتان ويستعملان فى الطعام ، وزيت الكافور ،وزيت الخروع ، والزيت الذى يؤخذ من السمك، وهذه الزيوت الثلاثة الأخيرة ننتفع بها فى علاج بعض المرضى ، وتستعمل فى الأدوية .

ومنذ آلاف السنين استخرج الانسان الزيت المعدنى من باطن الأرض . وقد وجد قدماء المصريين البترول فى ارض مصر ؛ واستعملوه فى تحنيط اجسام الموتى من الفراعنة . وحينما هجم الرومان على مصر كشفوا زيت البترول فى الصحراء الشرقية على احد الجبال القريبة من شاطىء البحر الأحمر، ويسمى جبل الزيت ، ولا يزال ذلك الجبل يحتفظ باسمه العربى .

واذا قرانا تاريخ الصينيين القدماء وجدنا انهم كانوا يحصلون على الزيت من باطن الأرض ، ويستعملونه للاضاءة بالمصابيح .

وقد صار البترول اهم محرك للصناعة ، ويجب أن نعرف كل شىء عنه ، ويسمى الذهب الأسود، لأنه اكبر مصدر للثروة .

كيف يتكون البترول فى باطن الأرض ؟

فى السنوات المائة الماضية عرف الانسان كثيرا عن زيت البترول ، وطريقة تكوينه ، فقد وجده فى باطن الأرض بين طبقات من الرمال والصخور .

ويظن بعض العلماء ان هذا البترول قد تكون تحت البحر منذ عصور طويلة ، من مخلوقات وحيوانات صغيرة كانت تعيش فى البحار ، ثم ماتت وغرقت اجسامها فى البحر ، وغطتها الرمال ، وضغطتها ضغطا شديدا ، ثم تعفنت ، وتحولت بقاياها الى سائل زيتى ، لونه اصفر او قريب من السواد ، بين طبقات الأرض . وهذا السائل هو زيت البترول .

وكما يتكون من تعفن الحيوانات يتكون من تعفن النباتات . ولا يستطيع الانسان ان يرى الزيوت المعدنية المستترة تحت طبقات الأرض ، ولكنه يرى آثارها فوق سطح الماء ، اوبين الشقوق التى على سطح الارض .

كيف تعرف الجهات التى بها البترول ؟

تعرف الجهات التى بها البترول بوجود طبقة من الزيت فوق المياه ، او وجود طبقة من الزيت الأسود خارجة من شقوق الأرض . وبالقرب من الزيت كثيرا ما يجد الانسان قطعا ناعمة سوداء ترى كالحجارة . فاذا سخنت تلك القطع بالنار صارت رخوة لينة ، وهى التى تسمى (الأسفلت).

وقد ذكر فى سفر التكوين عند الكلام على

بناء برج بابل مامعناه أن الناس يصنعون الآجر وهو الطوب ، وعندهم (أسفلت) فيبنون بالحجارة ، ويضعون (الأسفلت) بينها ، ليكون البناء متينا . واليوم نستعمل (الأسفلت) لتمهيد الطرق ورصفها ، كي يسهل المشي عليها .

فى اى بلاد العالم يوجد البترول ؟

يوجد البترول فى مصر ، والمملكة العربية السعودية ، والكويت ، والعراق ، وايران ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وأمريكا الشمالية ، وأمريكا الجنوبية ، وروسيا ورومانيا .

كيف يستخرج البترول من باطن الارض ؟

يستخرج البترول من باطن الارض بطريقتين :

الطريقه الاولى : بالحفر بالايدى العامله فى الأمكنه لتى يظن وجود البترول بها ، وهى طريقة قديمة شاقه صعبة خطرة ، ولكنها كانت تستعمل عند حفر الابار فى الايام الاولى ، بان يحفر رجل بالفاس فتحة ضيقة ، وكلما ملأ دلوا بالتراب والحجارة شد رجل آخر واقف من فوق ــ الدلو بالحبل ، ليفرغها ثم يعيدها ثانية الى الحفار الذى فى أسفل البئر . ويشتغل كل من الرجلين ثلاث ساعات ، ثم يتبادلان العمل ، فالذى كان يحفر من تحت يقف باعلى الحفرة ، والذى كان يقف من فوق ينزل ليحفر من تحت . ولوجود حرارة فى الفتحة تجد رجلا يهوى بفرع شجرة من فوق الحفرة حتى يدخل الهواء البارد فى الفتحة ، ويستطيع الحفار أن يجد هواء يتنفس منه .

وقد يمكث الحفارون سنتين فى الحفر بهذه الطريقة قبل ان يحصلوا على زيت البترول . وأحيانا يجدون ان الحفر غير منتج ، ولا يستطيعون أن يجدوا بترولا . وأحيانا يصلون الى صخرة صلبة تقف فى سبيل الاستمرار فى الحفر . وقد يحفرون الى عمق كبير ، ثم يجدون أن من الخطر الاستمرار فى العمل . وقد تنهار الحفرة من الجوانب وتقع على الحفار فيموت . واذا انتهى الحفار من الحفر شده صاحبه الى اعلى بالحبل فيخرج قذرا ، وقد غطى جسمه بطبقة من التراب والسواد والزيت .

وكثيرا ما يضطر الحفارون الى الانتقال من مكان ، والحفر فى موضع آخر ، بعد أن اضاعوا كثيرا من الوقت والمجهود ، وكثيرا من المال .

الطريقة الثانية : طريقة حديثة ، وهى الحفر بآلات طويلة من الصلب بها حفارة تحفر الأرض ، كالمثقب الكبير الذى يستعمله الانسان لعمل فتحة من الفتحات . وقد يبلغ ثمن الحفارة من الماس الاسود ٧٥٠٫٠٠٠ جنيه . وبهذه الآلة تحفر بئر البترول ، بان تعمل فتحة تختلف سعتها من ست بوصات الى عشرين بوصة ، ويستمر الحفر بالآلة حتى تكون الأنبوبة (الماسورة) عميقة ، فاذا كان البترول قريبا من سطح الأرض فانه يتدفع فى الأنبوبة بسرعة .

وقد يستمر الحفر بالآلة حتى يصل عمق الفتحة فى البئر الى ١٠٫٠٠٠ قدم ، ويكون طول الأنبوبة (الماسورة) الحديدية ميلين تقريبا ، قبل العثور على البترول . واذا اعترضت الفتحة صخرة صلبة ، فمن الممكن الآن كسرها (بالديناميت) ولكن هذه العملية خطرة ، فقد تحدث حريقا حينما ينفجر (الديناميت) . ولهذا تستعمل حفارات لها مثاقيب من الماس الأسود لتكسير الصخور الصلبة وتجنب الخطر الذى يحدث من (الديناميت) .

وحينما يصل الحفر الى زيت البترول يندفع الى أعلى البئر ، احيانا ببطء ، وأحيانا بسرعة . وقد يرتفع خمسمائة قدم ، ثم ينزل الى الأرض، فيجعل البيوت والناس والآلات التى حوله مبتلة بزيت لزج اسود .

واذا اشتعل ذلك البترول حدث حريق مدمر قد يستمر أياما وليالى ، وأخذت النيران تمتد وتتصاعد الى ارتفاع كبير . وتكون فى السحاب دخان كثيف اسود ، وصارت السماء حمراء على بعد أميال كثيرة ، وقتلت النار عددا كبيرا ، وحرقت كثيرين حروقا شديدة .

ولمنع الحريق يوضع غطاء فوق فتحة الأنبوبة التى يخرج منها البترول ، وهناك سفن خاصة بها بحارة لاطفاء الحريق واخماد النيران ، ومنع امتدادها بسرعة .

وحينما تحفر بئر البترول بدقة وعناية قد يتدفق الزيت منها بانتظام ، وتستطيع الشركة ان تجمعه فى احواض او صهاريج . وقد يتدفق الى اعلى اياما واشهرا . واذا خرج البترول من البئر ببطء امكن استعمال مضخة لسحبه واخراجه . وفى بعض الآبار قد تستعمل المضخات فى رفع البترول وتمكث عدة سنوات .

واذا راى الباحثون كثيرا من البترول فى البئر، حفروا آبارا أخرى بالقرب من الأولى ، وتسمى مجموعة تلك الآبار حقل بترول . وباستعمال الآلات الحديثة فى الحفر يمكن تجنب انهيار جوانب البئر فيها ، ومنع تسرب الماء اليها .

كيف تتحول المسرحيات إلى أفلام

بقلم : عبد الفتاح البارودى

تعلموا من هذا الفيلم كيفية تحويل الروايات من المسرح الى السينما .. اننا فى هذا الوقت الذى نتجادل فيه حول فيلم « ثمن الحرية » ، وهل نجح الذين قاموا باعداده من مسرحية « مونسيرا » ، نرى لحسن الحظ فيلما أجنبيا تم اعداده من مسرحية ايضا ، ولكنه يعتبر نموذجا لهذا النوع من الاعداد الفنى ٠٠ ان من واجبنا أن نستفيد من مثل هذه النماذج بدلا من المجادلات الجوفاء ٠

اسم الفيلم « **انتقام امرأة** » واسمه بالانجليزية « الزيارة » ، ٠٠ وفرق كبير بين الاسم والترجمة ، ولكن عقلية الذين يترجمون أسماء الأفلام تأتى بالأعاجيب .. ومع ذلك فان اسم المسرحية التى أعد منها : «**زيارة السيدة العجوز** » ، وهى من مسرحيات دورنمات ، وسبق عرضها فى العام الماضى على مسرح سيد درويش ، حيث قدمتها بامتياز فرقة جامعة الاسكندرية ، واخرجها لها كمال ياسين، وفازت بتمثيلها بالمرتبة الأولى بين فرق الجامعات

المهم ان هذه الرواية فى أصلها المسرحى لايختلف جوهرها اطلاقا عن الفيلم ، ومع ذلك فالتناول الفنى مختلف جدا .. كيف ؟ ! المسرحية بكل بساطة تدور أحداثها فى مشاهد مسرحية ، وشخصياتها تتحرك فى نطاق هذه المشاهد الثابتة وتتعامل بالحوار المسرحى .. الخ .. ولكنها عندما تحولت الى فيلم لم نشعر بأن أصله مسرحية ، بل رأينا الحركة السينمائية وسمعنا اللغة السينمائية، وذابت المشاهد فى حركات الكاميرا ، وادخلت اضافات لخلق عنصر التسلسل فى السياق دون أى مساس أو تحريف لفكرة المؤلف ٠

***

هذا كلام عام ، تعالوا نطبقه على المسرحية والفيلم :

ملخص الفكرة انه فى احدى المدن الصغيرة اعتدى شاب على فتاة كانت مخلصة فى حبه، وكانت تتوهم انه مخلص فى حبها ، ولكنه تركها وتزوج بنت صاحب متجر طمعا في مالها المحدود ايضا ، وتنكر لفتاته الفقيرة التى حملت منه وانجبت طفلة ، وانكر ايضا ابوته لهذه الطفلة ، وساعده فى هذا الانكار بعض شهود الزور ، وعندئذ حكم مجلس المدينة على الفتاة الفقيرة بالطرد ، فأخرجت من المدينة وليس معها غير فضيحتها وطفلتها ، واضطرت اضطرارا الى احتراف البغاء .. بعد عشرين سنة كانت المدينة خلالها قد اصيبت بالفقر والجدب ، وكانت الفتاة الفقيرة خلالها قد اصبحت مليونيرة ، عادت الفتاة فى صورة سيدة ثرية لتعلن انها ستنقذ المدينة واهلها من الفقر ، فاستقبلت استقبالا حافلا ، واقام لها مجلس المدينة احتفالا وصفها فيه رئيس المجلس باوصاف ذوى الحسب والنسب ، ولكنها واجهته بالحقائق ، واعلنت انها لاتزال عند وعدها، وستعطى المدينة مليون جنيه مقابل شىء واحد ، هو تحقيق « العدالة » .. والعدالة هى ان تقتص من المجرم الذى حولها الى عاهرة ، وطالبت بدم الشاب الذى غرر بها وانكر بنوته لطفلتها التى ماتت بعد ان اخرجت من المدينة .. كان هذا الشاب قد اصبح عضوا فى مجلس المدينة ، وعندئذ اعلن رئيس المجلس ان المدينة لا توافق على شروطها ، ولا تضحى بأحد ابنائها من اجل المال ، ولكن السيدة تمسكت بالعدالة والقصاص ، وفعلا اقتنعت المدينة ـ تحت وطأة الفقر ـ بشروطها وحكمت على المجرم بالاعدام ٠

ان المؤلف لم يكتب حدوته ولا موعظة خلاصتها

ان المجرم ينال جزاءه مهما طال الزمن ، وانما كتب رواية حلل فيها سيطرة المال على المجتمع الاوروبى .. فالشاب تنكر للفتاة التى غرر بها من اجل المال ، والفتاة عجزت عن اثبات حقها لأنها فقيرة ، والمدينة طردتها هى وطفلتها بلا رحمة ، فاضطرت الى احتراف البغاء من اجل المال . وعندما اصبحت مليونيرة استطاعت بالمال ان تفرض ارادتها ، وهذه هى حقيقة المجتمع الأوروبى كما وصفها المؤلف

كيف عالجت المسرحية هذا الموضوع :

ان المسرحية تبدأ فى محطة السكك الحديدية ، حيث تنتظر المدينة وصول السيدة التى ستنقذها من الفقر .. فى هذا المشهد يصور المؤلف معالم المدينة الشاحبة واحلام اهلها بالثروة التى ستهبط عليهم بمجرد وصول السيدة المنتظرة ، وفعلا تصل ، ويجتمع المجلس . ويسخر المؤلف من اعضائه الذين يصفونها بصفات كريمة ، بل ان احدهم يروى عنها انها فى طفولتها كانت تعطف على الفقراء لدرجة أنها اعطت « جوالا » من البطاطس لامرأة فقيرة ، وتسخر السيدة وهى تصحح له هذه الرواية ، وتقول له انها فعلا اعطت هذا البطاطس ، ولكنها لم تكن تملكه ، وانما سرقته !! بهذا الشكل يكشف المؤلف رياءهم ونفاقهم

بعد هذا يكشف أيضا دخائلهم وما فيها من زيف .. انهم يعلنون بحماسة تضامنهم مع التاجر – وهو الشاب الذى كان قد اعتدى عليها ، ثم اصبح صاحب المتجر – ويرفضون المعونة التى عرضتها عليهم مقابل الاقتصاص منه .. ويتبلور ذلك فى مشهد مسرحى واحد رائع ٠٠ فنحن نرى على خشبة المسرح دكان التاجر ، والأهالى الذين تضامنوا معه دفاعا عن كرامته المزعومة يأتون اليه ليشتروا حاجياتهم «على الحساب» .. ان كرامتهم اباحت لهم ان ينتهزوا فرصة ضعف موقفه لينهبوا بضاعته ، وكلما حاول ان يسالهم الثمن اشاروا اليه من طرف خفى بهذا الضعف الذى سلبه ارادته وكيانه .. ان المؤلف يسخر بذلك من انتهازيتهم وشيئا فشيئا يعريهم من كرامتهم المزعومة ، حتى يرضخوا فعلا لشروط السيدة التى فرضتها عليهم بثروتها .

وفى مشهد المحاكمة تتعرى كرامة مجلس المدينة ، ونرى تحمسهم للتاجر أصبح تحمسا ضده ، وفعلا يحكمون عليه باسم العدالة ، بينما الواقع ان ثروة العاهرة هى التى اشترت ضمائرهم وعدالتهم

فى مشهد الحصار يرتفع التعبير المسرحى الى الذروة ، فنرى التاجر الذى يحاول الخروج من المدينة يحاصر من كل جانب .. ان المدينة التى كانت معه بحماسة تحولت الى قفص حديدى رهيب ، والسيدة التى خرجت يوما من المدينة مطرودة تحولت الى آمرة مطاعة ، لانها تحولت الى مليونيرة !!

هذه المشاهد المحددة المركزة ماذا فعلت بها السينما ؟

تحللت بالسيناريو الفنى الى لقطات سينمائية اذابت حدودها ٠٠ ان الأحداث التى عبرت عنها المسرحية بالحوار عبرت عنها اللغة السينمائية ، فرأينا فى البداية لقطة تجمع بين السيدة والتاجر ، وخلفهما المدينة الفقيرة ، وبين انغام موسيقى الفجر الدالة على حيوانية التاجر ، تسترجع السيدة ذكريات اللقاء الاول بينهما ، ونرى فى تعبيراتها كيف استسلمت له ، ، ونرى فى تحجر قسمات وجهه كيف يريد أن يتناسى ما مضى ... هذه اللقطات لا وجود لها فى المسرحية ، ولكن السيناريست اضافها دون أن يقحم على النص شيئا غريبا عليه ، وانما فقط استخدم لغة الكاميرا ليلقى الضوء على حقيقة الأحداث ٠

كذلك اذاب السيناريست مشهد استقبالها فى لقطات مزدحمة لم يكن من الممكن ان تظهر على المسرح بحكم طبيعة خشبة المسرح ... نفس الاحداث التى كتبها المؤلف المسرحى ، نفس الاحتفال ، نفس الكلمات التى القيت فى الحفاوة بها ، نفس الروايات واوصاف النفاق .. كل هذا اظهرته الكاميرا ولكن بأسلوب بعيد عن التركيز المسرحى ... ان الحفلة تبدأ وما يكاد رئيس مجلس المدينة يلتهم طعامه او يبدأ فى الالتهام حتى تدعوه السيدة الى الكلام ، وما يكاد يتكلم حتى تقاطعه لتواجهه بالحقائق ، وماتكاد تثير الدهشة حتى تستدعى القاضى الذى احضرته معها والشهود أيضا. وما يكادون يواجهون المتهم حتى تضىء الكاميرات ملامح اهل المدينة ، وفى كل وجه نرى المعانى التى قصد اليها المؤلف .. لقطات متتابعة وسريعة وفى غاية التعبير ، وبنفس التتابع والسرعة والتعبير تأخذ الكاميرا لقطة عريضة تظهر فيها حماسة المدينة للوقوف بجانب التاجر ضد العروض التى عرضتها السيدة ، ثم تأخذ الكاميرا

لقطة عميقة فى وجه السيدة وهى تساوم بمضاعفة المبلغ ، وتأخذ لقطة اخرى لترى انعكاس ذلك على اهل المدينة ، وتختفى هذه اللقطات لتظهر لقطات اخرى للسيدة وهى فى شرفة قصرها تنتظر مصير التحدى .

ان المسرحية قدمت هذه المعانى فى مكان شاحب، فى محطة السكة الحديدية ، لترسم شحوب المدينة، ولكن الفليم اتجه اتجاها آخر انسب للكاميرا .. اتجه الى تقديم نفس المعانى فى ردهة فاخرة داخل القصر للتعبير عن ثراء السيدة ... ان للكاميرا قدرة على الحركة ، فلا موجب لتحديد المشاهد ... لا وجه للمفاضلة بين الاسلوبين ، وانما المهم ان لكل فن اسلوبه . والبراعة فى ان يستخدم الفنان أدوات فنه ... وهكذا استخدم السيناريست والمصور والمخرج السينمائى اسلوب السينما دون اقحام لأى اضافات غريبة على الفكرة نفسها .

وهكذا استطاعت السينما ان تضع قصر السيدة فى مواجهة دكان التاجر لنرى فى مجال واحد اصرار السيدة على شروطها وانتهازية الاهالى الذين ازدحموا حول الدكان لشراء حاجياتهم بلا ثمن ، وثورة التاجر عليهم لاحساسه بانهم يستخدمون نقطة ضعفه لحسابهم ... لم يكن من الممكن ان تظهر هذه اللقطات المتبادلة على المسرح ، ولم يكن من الممكن ان نرى لقطة من اجتماع مجلس المدينة ، تعقبها لقطة فى قصر السيدة ، تعقبها لقطة بين الاهالى .. وهكذا .

ايضا لم يكن من الممكن ان نرى على المسرح لقطات متتابعة تصور البضائع المتكدسة التى احضرتها السيدة لتعطيها لاهل المدينة مجانا ... فى هذه اللقطات نرى التاجر يرى بعينيه أن رئيس مجلس المدينة اخذ من هذه البضائع ، ورجل الشرطة اخذ من هذه البضائع .. ومن هذه اللقطات نرى كيف ادرك التاجر ان الذين تظاهروا بالوقوف بجانبه بدأوا يتفرون وينحازون الى السيدة ، اى الى منطق المال ... وكل هذا يتم فى حركة سينمائية مستمرة وبلا توقف .

كذلك نرى كيف استأجرت السيدة رجالا مسلحين ليقتلوا التاجر ..ان طلقات الرصاص تحيط به وهو يهرب من مكان الى آخر ، ثم يهرب الى بيته فيفاجأ بان زوجته التى ترك الفتاة من اجلها تخشى على نفسها وعلى طفلها من الرصاص وتنصح زوجها بان يبتعد ... هذه المطاردة لم يكن من الممكن ان تظهر على المسرح اطلاقا ... وهذه المطاردة ليست فقط مجرد حركة سينمائية بل فيها معنويات كثيرة اكدت للتاجر كيف اصبح ضائعا بلا مكان يلتجىء اليه ، وبلا نصير يحتمى فيه .

ان الفيلم استطاع بالكاميرا وباللغة السينمائية ان يعبر عن المعنويات بالصور الواقعية ، بينما عبر عنها المسرح داخل الحوار فقط .. وهكذا التزم الفيلم بالموضوع ولكنه بالادوات السينمائية رسم تفصيلاته الدقيقة فى صور .. شىء واحد أضافه الفيلم فى النهاية على احداث المسرحية ... ان المسرحية تنتهى بمحاصرة التاجر ليلقى مصيره ... ولكن فى الفيلم نرى التاجر بعد ان يتأكد من نهايته يتسلل الى قصر السيدة وينفرد بها ويكاد يقتلها .. فى هذه اللقطة نرى بالصورة السينمائية كيف كانت السيدة مخلصة فى حبه ، وهذا يعمق احداث الرواية ويؤكد ان السيدة لم تكن ظالمة حينما تشبثت بقتله ... ثم انها بعد ان تأكدت من ان المدينة كلها وقفت معها ، او بالأحرى مع ثروتها ، قالت لاهل المدينة انها تريد للتاجر ان يعيش ، ليرى كيف يمكن ان يعيش مع الذين اهدروا دمه ... فى هذه النقطة فقط يختلف الفيلم عن المسرحية ، والنقاد العالميون الذين تناولوا هذا الفيلم يرى بعضهم ان هذا معناه ان العالم لايزال فيه امثال هذا التاجر وامثال هؤلاء الأهالى ... وبعضهم يرى أن عقوبته وهو حى اقسى من اعدامه .

مهما تختلف الآراء فالمهم ان هذا الفيلم درس عملى لكيفية تحويل المسرحيات الى السينما ، فهل يتعلم السينمائيون عندنا ؟!

اتمنى ذلك .. لقد شاهدت ندوة تليفزيونية عن فيلم ثمن الحرية اشترك فيها مخرج الفيلم نور الدمرداش ، وناقشه صبحى شفيق وصبرى عزت ، وحضر الندوة صلاح ابوسيف ليكون حكما بينهم ، وتوقعت ان يدور الحديث حول عملية تحويل المسرحية الى فيلم من الوجهة الفنية ، ولكنهم تركوا هذه النقطة الرئيسية وتجادلوا حول مسائل فرعية جدا ... اتمنى ان يعقد التليفزيون ندوة حول فيلم (زيارة السيدة العجوز) فربما يفيدنا ذلك فى نفس الموضوع ... ان كل ما ارجوه ان نستفيد من التجارب العالمية ، بدلا من الدردشة حول التفريعات.

« عبد الفتاح البارودى »

تعقيبات

بقلم: عباس خضر

خصائص القصة القصيرة

قرأت أخيرا نحو مائة من القصص القصيرة المقدمة لمسابقة نادى القصة هذا العام ، فهالنى ان هذا العدد الضخم ليس فيه مما يصح شكلا ان يسمى قصة قصيرة الا بضع قصص .. وهناك قصص كثيرة ذات تعبير جيد واسلوب حسن ، او ذات دلالة اجتماعية معينة، او تعالج موضوعا مما يشغل الناس ، ولكنها فى بنائها ليست من فن القصة القصيرة فى شيء .

وليس الأمر مقتصرا على هؤلاء الناشئين الذين تقدموا الى المسابقة ، فالواقع الصارخ انه يشمل بعض الذين كبروا وصاروا ينشرون فى الصحف والمجلات ويصدرون مجموعات ، ومنهم من له اسم معروف فى عالم الادب ..

ومما هو ذو دلالة فى هذا الصدد ، ما قالته لى فتاة تجتهد فى كتابة القصة ، وقد سألتها عما تكتب الآن ، فقالت : اكتب قصة طويلة ، تركت القصة القصيرة ، ماذا أفعل ؟ **ان كتبت قصة ذات موقف ومشاعر قالوا لى : أهذه قصة ..؟ وان كتبت قصة ذات حوادث وسرد قالوا : هذا ملخص رواية ..**

والواقع ان القصة القصيرة عمل أدبى دقيق ، تنطبق عليه الكلمتان المأثورتان : السهل الممتنع. وليس من اليسير وضع تعريف هذاالفن من الأدب وان كان يتحفز على لسانى هذا الوصف :

حادث موجد يتخلله موقف محدد او لحظة معينة ويسوده التسكع الشعورى .

وليس كل تسكع مثل الآخر ، فهناك من يتسكع فى المحال التجارية ولا يشترى شيئا ..

ولا شك انه من المفيد ان نذكر اولا بعض ما قيل فى القصة القصيرة :

قال الأستاذ عباس محمود العقاد — فى كتابه « الوان من القصة القصيرة فى الأدب الامريكى » ص ١١ و١٢ — « **ومن البديهى ان الفوارق بين هذه الأنواع (القصصية) لا ترجع الى الطول والقصر ولا الى الاسهاب والايجاز ، ولا الى العنايةبالاسلوب الأدبى وقلة العناية بذلك الأسلوب ، ولا الى خطر الموضوع او تفاهته ، فكل اولئك صفات قدتتشابه فيها جميع هذه الانواع ، فتكبر الحكاية المطولة حتى تلتقى بالقصة القصيرة فى عدد الكلمات ، او تتناول الحكاية موضوعا من اجل الموضوعات ، ولا تتناول القصة الكبيرةالا موضوعا هينا من مسائل المجتمع او مسائل الأحوال النفسية . انما يرجع الخلاف بينها الى فارق اصيل من باب التغليب والترجيح، على الأقل ان لم يكن من باب الحسم والشمول . ولم تعرف تفرقة بينهما اصح واصدق من التفرقة التى أجملتها الكاتبة (اديث هوارتون) حين قالت: (ان الموقف هوالموضوع الغالب على القصة القصيرة وان رسم الشخصية هو الموضوع الغالب على الرواية) ويمكن ان نضيف الى الموقف موضوعا آخر يصلح للقصة القصيرة والحكاية — يقصد القصيرة جدا او الاقصوصة — وهو الايحاء ولفت النظر ، او ما يقابل — حرفيا — الاقتراح —** »

ويقول « ادجار الان بو » — نقلا من كتاب (الأدب وفنونه) للدكتور عز الدين اسماعيل ص ١٧٢ و ١٧٣ : « **ان القصة القصيرة بحق تختلف بصفة اساسية عن القصة بوحدة الانطباع . ويمكن ان نلاحظ بهذه المناسبة ان القصة القصيرة غالبا ما تحقق الوحدات الثلاث التى عرفتها المسرحية**

الفرنسية الكلاسيكية ، فهى تمثل حدثا واحدا فى وقت واحد ، وتتناول القصة القصيرة شخصية مفردة أو حادثة مفردة أو عاطفة مفردة أو مجموعة من العواطف التى أثارها موقف مفرد » .

ويقول هادسون - نقلا من الكتاب السابق - :

« **فالقصة القصيرة من الممكن ان تجتاز بالقارىء فترة زمنية طويلة كما تصنع الرواية ، ولكن يحدث الفرق هنا فى طريقة العرض ، فالتفصيلات والجزئيات التى تملأ كل يوم وكل ساعة فى تلك الفترة الزمنية لا حاجة لكاتب القصة القصيرة بها، بل انه يجتاز كل شىء لينتقل مباشرة من لمسة من لمساته الى اخرى ، مجتازا بذلك من الزمن فترة قد تطول وقد تقصر . فطريقة العلاج ترتبط ارتباطا حيا بالموضوع ، وهى - من جهة اخرى - فرق جوهرى بين القصة القصيرة والطويلة** ».

ونستطيع ان نستخلص من كل ذلك أن المدار فى القصة القصيرة على وحدة الموقف ووحدة الغرض، فان هاتين الوحدتين تستتبعان بقية الوحدات .

ونستطيع كذلك ان نجمل خصائص القصة القصيرة فى كلمتين : **الوحدة والتركيز** ، فالوحدة تكون فى الحادث والغرض والموقف ، ولعل وحدة الانطباع التى قال بها « بو » تجمع كل الوحدات فى بؤرة واحدة . والتركيز يكون فى كل شىء ، وهو أهم ميزة للقصة القصيرة ، وقد بولغ فى حتميته بها من حيث اللغة حتى قيل ان اية كلمة يمكن الاستغناء عنها تعد حشوا فيها ودخيلة عليها.

ويمكن أن نتبين طبيعة القصة القصيرة من القاء نظرة على تطورها من الشكل الذى كانت تكتب به التسلية الى شكلها الحديث، كانت فى الشكل الاول تعتمد على طريقة العقدة المتأزمة والحل او المفاجأة الأخيرة. وكانت تعتمد كذلك - من حيث المضمون - على الحادث الغريب والخيال البعيد ، وأما الشكل الحديث فلم يهتم بجذب القارىء عن طريق الاغراب والمفاجأة ، بل هو يوجه العناية الى التعبير عن حالات النفس البشرية والأحاسيس التى تضطرب فى نفس الانسان وتبدو كأنها حديث عادى عما يحدث لكل انسان والمضمون يحدد الشكل كما يقولون .

قصص موبسان

ولعل أول من كتب القصة القصيرة فى شكلها الحديث المتكامل هو الكاتب الفرنسى « **جى دى موبسان** » فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . كتبها قبله كثيرون ، منهم « **مارك توين** » و « **ادجار الان بو** » الأمريكيان ، ولكنهم لم يهتدوا الى ما اهتدى اليه « **موبسان** » من أن القصة القصيرة لا تحتاج الى الوقائع الخطيرة والخيال الخارق ، بل يكفى الكاتب أن يتأمل فى الوقائع العادية والأفراد العاديين لكى يفسر الحياة ويعبر عن خفاياها من خلال موقف أو لحظة من لحظاتها. وكانت الواقعية الحديثة هى المذهب الملائم لهذا المنهج ، فسلك « **موبسان** » فى القصة القصيرة مسلك « **زولا** » واضرابه فى الرواية ، من حيث الاهتمام بدقائق الحياة وتفصيلاتها وتصويرها بطريقة واقعية .

وقد كانت قصص « **موبسان** » حدثا جديدا فى الادب ، كما يقول الدكتور رشاد رشدى فى كتابه « فن القصة القصيرة » .

« **ولقد جاءت قصص موبسان مختلفة عن كل ما سبقها من قصص حتى أن الناس رفضوا أن يعترفوا بها فى بادىء الأمر كقصص قصيرة ، ولكن الايام ما لبثت أن غيرت هذا الرأى ، فنجد أن احد كبار النقاد يكتب بعد موت موبسان باعوام قليلة فيقول: ان القصة القصيرةهى موبسان - وموبسان هو القصة القصيرة** ».

ومن المؤسف أن عندنا الى الآن من ينظر الى القصة القصيرة الحديثة نظرة تشبه موقف الرفض الذى كان فى أوربا .. ومن هنا نتبين وجه الحيرة فى حديث الكاتبة المجتهدة التى اشرت اليها فى أول هذه الكلمة .

تشيكوف وموم

وقد اشتهر منهجان فى كتابة القصيرة بعد « موبسان » : الأول منهج الكاتب الروسى « **انطون تشيكوف** » والثانى منهج « **سومرست موم** » واعتقد أن كلا منهما تأثر بموبسان وان كان قد انفرد بطريقة خاصة ، واقربهما الى موبسان هو تشيكوف ، وتتميز قصصه بالايغال فى الواقعية اكثر مما فعل موبسان ، فقد اهتم تشيكوف بالأشخاص العاديين كالفلاحين والتجار وعمال المصانع وأصحابها ، واعتمد على الصدق فى تصوير حياتهم العادية والعمق النفسى فى تحليلهم .

أما « موم » فانه - مع تأثره بموبسان - لم يعرض عن التشويق بالعقدة والحل والاغراب فى قص الواقع . وقد كتب « موم » عن « تشيكوف » فاورد القول المشهور لتشيكوف :

« ان الناس لا يذهبون الى القطب الشمالى كى يسقطوا من فوق جبال الجليد ، انما هم يذهبون الى المكاتب ويتشاجرون مع زوجاتهم ويتناولون حساء الكرنب ».

وقال « موم » انه يخالف « تشيكوف » فى ذلك فان ذهاب الناس الى المكاتب وتناولهم حساء الكرنب لا يكفيان لخلق قصة عنهم ، فلا بد لتكوين قصة ان يسرقوا او يرتكبوا خيانة او يضربوا زوجاتهم .

ولكن الذى حدث ان تشيكوف استطاع ان يكون قصصا خالدة من اضطراب الناس فى الحياة العادية .

كشكول

● دعت تونس الى الاحتفال بالذكرى الثلاثين للشاعر العربى **ابى القاسم الشابى** فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٦٥ .

ولما كان مؤتمر الأدباء العرب ومهرجان الشعر سيقامان ببغداد فى نفس الوقت فقد جرت اتصالات لتاجيل احتفال الشابى حتى يتمكن الادباء العرب من حضوره بعد المؤتمر والمهرجان .

● رشح الدكتوران ابراهيم بيومى مدكور ومراد كامل عضوا مجمع اللغة العربية ــ **الدكتور محمد مندور** لعضوية المجمع .

والدكتور مندور قمة فى حياتنا الأدبية الحاضرة ويرجى ان ينتفع بادبه وثقافته فى مجمع اللغة كما ينتفع بهما فى خارجه .

● ذكرى وفاة **شوقى** ذهبت هدرا هذا العام .. لم تظفر من اى باهتمام يذكر !.

● يبحث المجلس الأعلى للفنون والآداب اقتراحا قدم اليه يقول انه فى فبراير سنة ١٩٦٧ يكون قد مضى على وفاة الجاحظ اثنا عشر قرنا ميلاديا ، وينبغى أن يعد من الآن منهج لاقامة مهرجان له فى ذلك التاريخ . ومما يتضمنه الاقتراح اقامة تمثال للجاحظ فى مدينة البصرة ، وهذا يذكرنا بما حكاه الجاحظ من ان امراة اتت اليه وطلبت منه ان يصحبها ، فذهب معها حتى وصلت به الى طفل اخافته المراة بالجاحظ ..

لنعمل لذكرى الجاحظ كل شىء ما عدا اقامة تمثال ..

● الكلمات التى يكتبها الأستاذ **كامل الشناوى** عقب مقالاته بعنوان «**ساعات**» انما هى شعر منثور ، وهذا الشعر هو القسيم الثالث للشعر التقليدى والشعر الحر ، وهو شعر برغم ما يقال من ضرورة الوزن ، فان للنثر الشعرى توقيعا مرسلا جميلا .. انا من عشاقه .

● اعتقد ان الحركة التى احدثها الشعر الحر والكلام حوله خدمت الشعر عامة من حيث اثارة الاهتمام به فى السنوات الأخيرة بعد ان فتر اهتمام الناس بالشعر وامتنعت الصحف عن نشره .

● من الكتب الجيدة التى ظهرت اخيرا كتاب **« مى ــ اديبة الشرق والعروبة »** للاستاذ محمد عبد الغنى حسن . وهو يتضمن مباحث الكتاب الذى اصدره من قبل بعنوان **« حياة مى »** مضافا اليها كثير من الفصول عن « مى » وخاصة ما لابس محنتها قبل وفاتها ، ومراثى الشعراء والكتاب لها بعد الوفاة ونماذج من كتاباتها وخطبها .

● نشرت «**الأهرام**» الخبر التالى :

« من بين الطلبة الذين قبلتهم جامعة الأزهر هذا العام طالب دخل كلية الطب اسمه السيد قشطة ، وطالب دخل كلية المعاملات اسمه صلاح الدين ثعلب ، وطالب دخل كلية الهندسة اسمه محمد الاغانى » .

ويبدو ان الباعث على نشر ذلك الخبر هو غرابة الاسماء .. بقى ان تعرف أن الذى نشره محرر اسمه « كمال الملاخ » !

● كان الدكاترة من اساتذتنا الكبار ــ ولا يزال الأحياء منهم ــ يوقعون كتاباتهم باسمائهم مجردة ، اى بدون « دكتور » او « د. ».

فهل كان ذلك لأنهم كبار ..؟

اذا كان ذلك كذلك فاننا نرجوان يكبر دكاترتنا المصرون على الدال .. والتواضع فضيلة لا يتفق معها الفخر بالالقاب .

● الكاتب الكبير ، عندما يتخلف عن الجديد يصبح تاريخا فقط ، وعندما يجارى الجديد فى كل شىء لمجرد انه جديد يكون تافها ، **والأوسط المنشود هو الذى يعيش الجديد وينقده .**

عباس خضر



حول الأدب في أسبوع

يقدمه عبده بدوي

ما بعد التفعيلة

أولا – قد يظن البعض أن مشكلة الشكل الشعرى – على الصعيد العربى – هى تلك المشكلة التى يرفع رأسها النقاد بين الحين والحين ، والتى تتمثل فى العمودية والتفعيلية ، ولكن تحديقا أكثر فى وجه المشكلة يوضح أن المعركة تسير فى صالح مرحلة جديدة هى مرحلة **اللاشعر** أو مرحلة **قصيدة النثر** كما سميت فى لبنان أو **الثرثرة اللغوية** ، كما سميت هنا .

ولقد كانت (التفعيلة) أحد النوافذ الواسعة التى مر منها هذا التيار النافذ كحد السيف ، فأكثر الشعراء اليوم لا يحافظون على سلامة التفعيلة كما يظهر فى الدواوين الحديثة ، وبعض المشرفين على نشر هذا الشعر يعانى من جديد لاعادة الوزن فى كثير من القصائد وحين يمل يتركها كما هى ..

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان هناك **مخططا** يهدف الى **تتويه** النغمة العربية الممثلة فى البيت والتفعيلة باعتبارهما وجها وملمحا فى الوجه الشعرى العربى .

ومن أجل هذه الغاية وغيرها صدرت فى لبنان مجلة « شعر » باشراف يوسف الخال ، وسلسلة (ينابيع) باشراف أدونيس .

فاذا عرفنا أن الاصوات قد بحث هنا وفى لبنان نفسه بأنهما قوميان سوريان ، وانهما ضد القومية العربية، والاشتراكية، وقادتنا الثوريين ، والوحدة، وانه كان لهما دائما اتصالات مشبوهة بالسفارات ، وان هذه الاتصالات قد « زادت عن حدها » عند حرب السويس .

واذا عرفنا انهما جمعا عددا من الشبان فى الجمهورية العربية ، وانهما حرضاهم على النيل من بلادهم ، والسخرية منها ، ومن الاتجاهات السياسية السائدة فيها ، كما سبق أن وضحنا بالادلة فى هذا الباب بالعدد (١٠٧٦ فى ٢٧ أغسطس ١٩٦٤) من هذه المجلة .

واذا عرفنا أنهما وآخرين يتبنون هذا الاتجاه فى مجلات أدب وحوار وشعر مع المنظمة العالمية لحرية الثقافة ، التى بحث الاصوات هنا وفى بيروت وهى تؤكد انها تنفذ فى المنطقة مخططات استعمارية وصهيونية لضرب المد العربى فى حبة العين .. فى الفكر !

واذا عرفنا أنهما يقولان فى العدد ٢٢ من مجلة شعر ص ١١

(ان الشعر العربى شىء والعروبة شىء آخر)

واذا عرفنا ان أولهما هو الذي قام غالى شكرى بتتويجه على الشعر العربى ، والمناداة بايديولوجيته فى العدد الرابع من مجلة الشعر ، وهى تلك الأيديولوجية التى وضحها دزموند ستيوارت فى العدد (١١ / ١٢ من مجلة حوار) بقوله : انهاتقوم على تجديد الشعر العربى تجديدا كليا ، وذلك بكتابته من وجهة نظر مسيحية مباشرة ، وهو نفس الشاعر الذى أخذ على الدكتور أحمد كمال زكى فى العدد (١٠٨٠ من الرسالة) انى اعتبرته من الشعراء ، وقال « انه ناظم خزعبلات ليس الا » .

واذا عرفنا أن ثانيهما اذان حاضرنا وماضينا بما ليس له نظير فى تاريخ الحقد ، وانه قامت عنه حملة للتعريف به فى مجلاتنا وللاعجاب - من طرف خفى - بكل ما أصمى به كل ما هو قيم ومضىء فى حياتنا الى حد أن واحدا من نقادنا الأذكياء قال عن ديوانه اغانى مهيار الدمشقى «ان مهيارا ليس فقط ديوان شعر انه قضية وجودنا » ، مع أن هذا الديوان على نحو ما وضحت من واقع الديوان فى عددى (٥٥ و٥٦ من الرسالة) يلعن العرب ، ويدين الوحدة ويسب مصر ، ويرفض الله والاخلاق والوجوه الثورية الخ .. فهل قضية وجودنا - ياأستاذ محيى الدين محمد - هى كل هذه الاشياء الملعونة والمدانة والمسبوبة والمرفوضة ؟ ولعل آخر كلمة رقيقة حملت اليه - بعد دفاع الدكتور النويهى المشهود - من الجمهورية العربية المتحدة ، هى اهداء مقطوعة الاحجار للأخ توفيق حنا فى العدد الخامس من مجلة (الادب : اكتوبر ١٩٦٤) فقد جاء فيها : الى الشاعر العظيم ادونيس صاحب ديوان « أغانى مهيار الدمشقى » ، والتى جاء فيها فى شفافية ورقة قوله فى تلك القصيدة النثرية :

● الاحجار حضور جامد ولكنه حى ودائم
الاحجار خلق حاضر
القرآن كلمات هرم قمته الله

● اين هذا البناء الحق
فى هذا العصر القلق المتمزق

ومهما يكن من شىء فبهذين الوجهين (يوسف وادونيس) وبعدد آخر من الادباء الرافضين ضاع الشعر والتفعيلة فى أحد البلاد العربية ، وما زال هذا التيار النافذ كحد السيف يزحف على عدد من البلاد العربية .

بل لقد رأينا له « **مندوبا رسميا** » يتكلم باسمه فى الجمهورية العربية المتحدة ويسمى « **هانى مندس** » فيقوم بالتعريف بمجموعة من هذه الثرثرة اللغوية تسمى (الصوت الآخر) للمثرثر خليل أحمد خليل وبمجموعة « لن » للمثرثر أنسى الحاج ، ولقد كان أذكى من كل الذين قدموا الدواوين عندنا لانه حريص على أن يقوم بدعاية - من خلال ما كتب - عن دار النشر ، وعن موعد النشر ، وعن المشرف على السلسلة ، وعن لبنان كمركز للثقافة ، وعن الرفض ، وعن الادب الفرنسى وان كان مما يحفظ له - تقديرا لمهمته الحقيقية - انه فى المقال المعنون بقصيدة النثر فى مجلة الشعر لم ينس ضرب الاشكال الشعرية السابقة ، وتقريع المواطن العربى الذى ظلت النغمة العربية موجودة فى ضميره الى الآن ، وبعد أن يصفه بالاستعباد ! والانغلاق والتحجر ! يقول «ألف عام من الضغط ألف عام ونحن عبيد جهلاء وسطحيون» ثم ينتهى الى تعريف قصيدة النثر بأنها الفوضوية التى لاتتقيد بأى شىء ، وترفض كل المقدسات والبناءات المتعارف عليها وفى مقدمتها **الاخلاق** ، فالاخلاق تحد من ممارسة الانسان لانسانيته ، وتمنعه من تفتح ذاته ونموها ! فاذا أردت شيئا من هذه الثرثرة اللغوية - على حد تعبير الدكتور عبد القادر القط - فاستمع الى بعض النماذج التى أوردها المتكلم الرسمى باسم هذه الثرثرة فى الجمهورية العربية المتحدة مع ملاحظة أنه لاتوجد أخطاء مطبعية .

● لم العشب
والاغنية الجزيرة
وهذه العيون
بأباة العيون والأحشاء
والغلطة
والعشب
مادمت رقصتى
ومرجلى
ما دمت قفصى الدوار
وآخرى
ما دمت أستعير عاشقا من أذنى !

● ايها الحب البومة المغمدة فى الشمس

الطلل النابح

الصفصاف القاطع !

● جسدى امرأة

غيومه أبوابى

غيومه أعماقى

جسدى امرأة

جسدى !

لقد كنت أعجب من الاستاذ العقاد وهو يعلق على مثل هذا «الانهيار الرجالى» بقوله « اعرضوهم أولا على دكتور» ، ولكن بعد قراءة هذا المقطع الاخير وعدد وفير من قراءة مثل هذه النماذج – وهى وفيرة – أعتقد فى صدق «غمزة العقاد» أو على الاقل لاتبدو هذه الغمزة غريبة على أذن السامع أو عين القارىء ٠

ثانيا – هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ٠٠ – وليس بين الكلامين وجه شبه الا من قريب – فان أكثر المترددين على الاستاذ الدكتور لويس عوض يؤكدون من فترة أنه أصبح لا يرضى عن **التفعيلة فى** صورتها الصحيحة ، فالتفعيلة التى ترضيه الآن ليست التفعيلة العربية المتعارف على صحتها ، ولكن التفعيلة التى بها نوع من (النشاز) ، ولكى نكون منصفين لموقف الرجل نذكر أن الشاعر **عبد المنعم عواد يوسف** ذكر لنا امام عدد كبير من الادباء انه سلم قصيدة للدكتور لويس ، فاذا به لا يرى بها عيبا غير أن التفعيلة عنده تأتى سليمة، ثم نصحه قائلا : (زحف وأكثر من العلل) ، وقد تواتر هذا الخبر ، وكان آخر من رواه الشاعرة **وفاء وجدى** فقد أعادت الرواية التى ذكرها الشاعر عبد المنعم عواد يوسف ، مع فرق واحد هو (زحفى وعللى) فهذا شرط الشعر الممتاز ، بل لقد وصل الحد الى أن بعض الشعراء قد ذكر أن الدكتور عاتب عليهم لأنهم يقولون شعرا عموديا ، وحين ذكر واحد منهم انه شعر قديم لديه يريد «تسويقه» قال له انشره فى أى مكان الا فى القاهرة ٠

ولكى أكون منصفا أحب أن أقول للدكتور ان هؤلاء الشعراء يفهمون عنه الآن أن « التزحيف والتعليل» هو القاعدة ، وأن التفعيلة الصحيحة هى الشذوذ ، فهل هذا مايعنيه الاستاذ الناقدالدكتور لويس عوض ؟

ثالثا – ولعل ما يقرب من هذا هو الدعوة الطليعية التى قال بها الدكتور محمد النويهى ٠٠ والمتمثلة فى النظام النبرى الذى يوجد فى الشعر الانجليزى ، والقائم على توالى مقطعين أولهما غير مضغوط والثانى مضغوط ، والذى ذكر فى رده على أن الدكتور لويس «أميل الى موافقتى على أن التغيير المنتظر سيكون الى النظام النبرى» نظرا لتحقق النبر فى الادب الشعبى ، ولان الدكتور لويس يطالب بعدم الاعراب ٠٠ ونظرا لكثرة ما تناولنا هذه الظاهرة فانا نضع أمامه ما سبق أن ذكره بنفسه فى كتابه وذكرناه من أن موضع النبر يختلف فى القراءة بين شعب عربى وآخر ، بل بين سكان مختلف الاقاليم فى الشعب الواحد ، ولانه لايمكن أن نضع قوانين لمعرفة مواضع النبر فى القراءة ٠ وان الآذان تختلف فى تجاوبها بحيث يتفاوت صوت الشاعر نفسه لدى أى عدد من القراء ٠٠ الخ ٠٠ ماقلناه ، وقاله غيرنا ٠

هذه هى القضية ، وهذا هو التيار النافذ كحد السيف ، والذى أخشى أن يكون العموديون والتفعيليون – فى أثناء صراعهما – قد نسوه ٠٠ والذى يعمل البعض (بوعى) على ترويجه ، والذى لاأقول انه فى تقدمه يكسب افرادا ، ولكن يكسب دولا ، ثم يظل يتغلغل كحد السيف فى الفكر العربى !

وأخيرا ٠٠ فالسؤال هنا هو ٠٠ **(هل يمكن لأى تيار ان ينفذ هكذا باردا وحادا الى القلب ؟)** والجواب هو ان أى تيار – مهما كان هذا التيار – اذا وقفت من ورائه فى الداخل عملية تمويل وافدة ، وقامت على يمينه مجلة مترفة تهدى أو تباع بثمن فى متناول المواطن ، وقامت على يساره دار نشر تكون فى خدمة الناطقين باسم هذا التيار ، ثم كانت أمامه دائما مؤسسة أو سفارة تعطى مع جواز السفر مبلغا وفيرا من المال للمتعة فى الخارج أو لحضور مؤتمر ٠٠ اذا تحقق هذا – **كما حدث بالفعل** – فان هذا التيار لابد أن يرتفع صوته ، بل يمكن أن يكون هو وجهة النظر الفكرية بعد تثبيته عاما بعد عام ، قد يكون هذا وأكثر من هذا ٠

ما لم يضرب – بالثقافة الشريفة – فى القلب

ما لم يضرب فى حبة القلب

فى حبة القلب !!

شمس بيرم :

لا ادرى لماذا ازداد اكبارى لبيرم التونسى ، وانا استمع الى الاغنية «شمس الأصيل» التى تغنيها ام كلثوم .

فقد استقر فى نفسى ، وهو الذى كان يضم الشعب الى قلبه ، ثم يميل الى جانبه الأيسر كلما اراد ان يقول كلمة جديدة .. استقر فى نفسى انه كان الى جانب هذا مستوعبا للتراث الغنائى الشفاف للعرب وبخاصة الموشحات .

وتستمر الاغنية ،فاذا بى أتذكر (أبو جعفر ابن سعيد) وزير عبد المؤمن ، والذى كان حبه ،لحفصة الركوتية ، عنيفا جبارا ، والذى كان ضحية هذا الحب ، حين تقرب منها أحد أمراء الدولة الموحدية ، فاذا به يهجوه ، واذا بالامير يرسل اليه من يقتله فى عام (٥٥٩ ـ ١١٦٤) ، ويموت الامير المنافس ، وتنتهى الدولة الموحدية ، ويبقى صوت (ابو جعفر بن سعيد) فى بيرم التونسى ، وفى ام كلثوم ، وفى موشحه الذى يقول :

ذهبت شمس الأصيل .. فضة النهر
اى نهر كالمدامه
صير الظل قدامه
نسجته الريح لامه
فهو كالعضب الثقيل .. حف بالشعر
مضحكا ثغر الكمام
مبكيا جفن الغمام
منطقا ورق الحمام
داعيا الى المدام
فلهذا بالقبول .. خط كالسطر

عبده بدوى

الثلاثاء القادم .. وكل ثلاثاء

اقرا فى مجلة الثقافة

● أضواء على السياسة العالمية	**خيرى حماد**
● أصدقاء مخلصون	**بقلم محمد فريد ابو حديد**
● شهادة قديمة لرجل أبيض	**رءوف نظمى**
● جوهر التراجيديا	**ترجمة عزيز بديع**
● فن الحياة	**بقلم نصرى عطا الله**
● اللهب المقدس	**عرض عبد الرحمن البجاوى**
● دور الفرد فى التاريخ	بقلم محمد اسماعيل محمد
● فلسفة العقاد العامة ـ ٢ ـ	**بقلم عبد الحى دياب**
● مشكلات مسرحية	**بقلم عبدالله الشيخ**
● ايفيجينيا فى المآسى اليونانية	**بقلم اسماعيل البنهاوى**
● ملك راج آناند والأدب الهندى الحديث	**بقلم حسن لطفى المنفلوطى**
● الحب رقم ـ ١٨ ـ	**بقلم عبد الفتاح الديدى**



اليهود ودم المسيح

اننا نخطىء كثيرا اذا اعتقدنا أن الاغتصاب اليهودى الذى تمثل بقيام دولة الغزاة فى أرضنا المحتلة عام ١٩٤٨ كان حدثا مفاجئا تمخضت عنه بعض الظروف السياسية السطحية .

ان الاغتصاب اليهودى لأرضنا لا يمكن فهمه وتقديره الا على أنه نتيجة عمل طويل واعداد متواصل من قبل اليهودية العالمية ..

واذا كانت قيادتنا القومية قد أخذت على عاتقها **تحقيق مطالب جماهير شعبنا الملحة فى الوحدة والعودة** .. فان اليهودية العالمية ما زالت تبذل المزيد من الجهد فى سبيل تحقيق أهدافها الرامية الى ضرب قوميتنا العربية الناهضة .. واليهودية العالمية لا تتورع ـ كما هو معروف لدينا جميعا ـ عن استخدام كل الوسائل غير المشروعة للوصول الى اهدافها الاستعمارية العنصرية البغيضة .

وكنا نتصور أن اليهودية العالمية بوسعها ان تحرف دينها ليتلاءم مع أهدافها العدائية .. ولكننا لم نكن نتصور أنها تجرؤ على تزوير الديانات الاخرى .. والذى أذهلنا أكثر وأكثر .. ان نجد من بين رجالات الدين المسيحي من يساعد اليهودية العالمية فى تحقيق أهدافها ـ التى تضفى عليها الطابع الدينى المحض فى الوقت الذى نعرف فيه جميعا ـ ويعرفه معنا كل مسيحى العالم ـ الآثار السياسية والدعائية الناجمة عما يسمونه « بتبرئة اليهود من دم المسيح » .

ان اليهودية العالمية تحاول الآن فتح جبهة جديدة ـ كنا ومازلنا نؤمن بضرورة ابعادها عن مجال النضال القومى .. واذا كانت اليهودية العالمية قد اقامت مجتمعها العنصرى الغاصب على أساس دينى .. فاننا حتى الآن لم نحاول مقاومتها على نفس الاساس والمستوى .. **ليس لاننا لا نملك دينا قويا بمبادئه وبالمؤمنين به** .. ولكن لأننا نؤمن ايمانا تاما بان الدين لله ـ والوطن للجميع .. ولكن المهم هنا ـ أننا نجد للتآمر اليهودى الدينى من يستمع اليه ويعضده فى دوائر الفاتيكان وعلى أعلى المستويات ـ فى المجمع المسكونى ـ المنعقد حاليا .

واذا كانت مبادئنا الانسانية والقومية قد آمنت بضرورة وحتمية العمل القومى بمحتوياته النضالية المختلفة على مستوى المصالح العليا والحيوية لجماهير شعبنا بغير تعصب دينى أو مغالاة .. فان هذا المعنى لايجب أن يفسر اطلاقا ـ بغير معناه الحقيقى .

واذا كانت المبادىء الروحية والديانات السماوية المقدسة قد استغلت استغلالا سيئا من جانب اليهودية العالمية فيمايخصها بتحريف وتزوير مبادىء الشرائع الموسوية .. **فانه ليس من المحتم ان يكون الدين المسيحى كذلك .. بحجة تبرئة اليهود من دم المسيح ..**

وإذا كان المجمع المسكوني الموقر - **الذى نحتفظ له بكل احترام وإجلال** - يحاول عن طريق عملاء اليهودية العالمية فى صفوفه - وكلهم تابعون للدول التى تسيطر عليها اليهودية العالمية اقتصاديا وسياسيا - **أن يبرأ اليهود من دم المسيح** - لكى يكون هناك نوع من العدل والتآخى الدينى بين مختلف الديانات .. **فانه يجب أن ينظر أولا - بل ويطالب هؤلاء الذين يحاول تبرائتهم من دم المسيح أن يتخلوا عن مبادىء دينهم الذى حرفوه والذى يدعوهم الى استرقاق جميع الشعوب وسفك دمائها .**

وأود أن أوجه سؤالا الى السادة المجتمعين فى الفاتيكان ..

وهو : **هل بوسعهم أن يتجاهلوا النص الوارد فى التلمود والذى يتلوه جميع اليهود فى صلاتهم ويرددونه ثلاث مرات يوميا ؟ .**

يقول النص :

- « **ليهلك النصارى وعبدة الاصنام فى لحظة ، ليحذف اسمهم من كتاب الحياة وليحسبنهم الرب فى عداد غير الصالحين** » .

واعتقد أن أعضاء المجمع المسكونى الموقر لايستطيعون حتى مناقشة ذلك !! ..

لماذا .. ؟ لأن القوى الموجهة أقوى بكثير من أن يحاولوا مناقشتها ..

ولن أحاول هنا أن أقدم افتراضات لاثبات العداء الدينى والحقد العنصرى اليهودى على المسيحية .. ولكننى سوف أقدم ومن واقع كتب اليهود المقدسة ومناقشات احبارهم العامة - مايؤمنون به وما يعتمل فى صدورهم من حقد أعمى وتعصب ذميم تجاه كل الديانات ومع كل الشعوب .

١ - « **اذا ضرب أممى اسرائيليا ، فالاممى يستحق الموت** » - « سنهدرين ص ٢٢ » والاممى هو الفرد من الجنس البشرى غير اليهودى ..

٢ - « **الأجانب كلاب، لأنه مذكور فى سفر الخروج ١١ ، ١٢ ، أن الاعياد المقدسة لم تجعل للاجانب ولا للكلاب - وان الكلب افضل من الاجنبى لانه مصرح لليهودى فى الاعياد أن يطعم الكلاب . وليس له أن يطعم الاجنبى أو يعطيه لحما ، بل يعطيه للكلاب** » .

(عن تفسير موسى بن نعمان والحاخام رسى لسفر الخروج) .

٣ - « **سلط الله اليهود على اموال باقى الامم ودمائهم** » .

(من تفسير التلمود لاليو الرابى) .

هل ينكر السادة الموقرون المجتمعون فى الفاتيكان هذه النصوص المتطرفة فى اوضح معانيها - بعنصريتها المستبدة ، وتساميها عن الاجناس البشرية الاخرى فى صراحة تامة ، واستباحة دم كل من هو غير يهودى ، وتشبيه أجناسنا الانسانية بالحيوانات ، والحض على العطاء والبذل للكلب دون الانسان ..

وكل هذه الرذائل يأمر بها دين اليهود .. أليس من الواجب ادانتهم .. بدلا من تبرئتهم !!.

فلننظر ماذا يقول دينهم غير ذلك ..

● « **الشعب المختار فقط يستحق الحياة الابدية واما باقى الشعوب فمثلهم كمثل الحمير** » .

(الحاخام باربانيل)

● وكلم الرب موسى قائلا : « **وان لم تطردوا سكان الارض من امامكم يكون الذين تستبقون منهم، شواكا فى أعينكم، ومناخس فى جوانبكم، ويضايقونكم على الارض التى انتم ساكنون فيها ، فيكون أنى افعل بكم كما هممت أن أفعل بهم** » .

(سفر العدد ح ٣٣ ع ٥٥ ، ٥٦) .

وماذا يقول كرادلتنا الموقرون فى هذا النص الوارد فى التلمود .. الذى يقول :

● « **باستطاعتك ، بل من واجبك أن تقتل أفضل المسيحيين** » .

اننا هنا نود معرفة رأى أولئك الذين يحاولون تبرئة اليهود من دم المسيح بعد كل ذلك.. ومارأيهم فى بروتوكولات اليهود التى مازالوا ينفذون نصوصها حرفيا .. **بكل ماجاء فيها من نفاق وخداع ورشوة وخيانة وتجسس ورياء** ..

.. يقول البروتوكول السابع :

- « يجب أن نرغم الحكومات غير اليهودية على انتهاج السياسة التى من شأنها تنمية خطتنا التى تملأ أذهاننا ، والتى قاربت بلوغ مانهدف اليه من

نصر ، وذلك بالضغط على الرأى العام ، عن طريق الصحف التى هى الآن فى قبضة يدنا ، اذا استثنينا صحفا معدودات » ٠

ويقولون كذلك :

« ان ما بيننا وبين غير اليهود من فارق فى القدرة على التفكير السليم ، والانتاج والاستنتاج ، هو الذى جعلنا شعبا مختارا ، أسمى من الشعوب الأخرى غير اليهودية الذين يعيشون بغرائز وعقول حيوانية بحته ، فهم يبصرون ولكن لايتبصرون، واذا اخترعوا فانما يخترعون اشياء مادية ليس الا ، ومن هذا يتضح ان الطبيعة قدرت لنا أن نكون حكام العالم وقادته »

وجاء فى البروتوكول الرابع عشر :

« عندما تصير مقاليد الحكم فى أيدينا ، سيصبح أى دين يخالف ديننا غير مرغوب فيه ، وسننادى بوجود اله واحد ، فى يده أقدارنا وأمصارنا بوصفنا الشعب المختار ، وهو الذى يربط مصير العالم بمصيرنا ، ولذا أصبح لزاما علينا أن نقضى على كل دين هو غير ديننا ، واذا ترتب على هذا ظهور ملحدين معاصرين ، فلن يتعارض هذا وأهدافنا »

وفى البروتوكول السابع ما يلى :

« اذا وجه الينا عدوان من أى دولة ، فعلينا أن نعد العدة لرده باثارة حرب ، عن طريق الدول المجاورة لتلك التى اعتدت علينا ، واذا اتحدت هذه الدول وقررت مهاجمتنا فلنعمل على اثارة حرب عالمية » ٠

وينص البروتوكول الخامس على ما يلى شرحا للبرنامج السياسى لليهودية العالمية :

« ولسوف نرهق غير اليهود بكل هذه الأمور ، فيجدوا أنفسهم مضطرين أن يخولونا سلطة دولية نستطيع بها ، بدون أية متاعب ، أن نستحوذ على كافة السلطات الحكومية فى العالم »

« وقد تأتلف وتتكاتف الشعوب غير اليهودية فى العالم فتناهضنا حينا ، ولكنا قد احتطنا فبذرنا بذور التفرقة بينهم ، فتأصلت فيهم جذورنا ولا يمكنهم اقتلاعها ، وقد أوجدنا تعارضا بين المصالح الفردية والمصالح القومية عند غير اليهود ، وأثرنا فيهم الاحقاد الدينية والكراهية الجنسية والعنصرية التى قضينا عشرين قرنا نغرسها فى قلوبهم » ٠

وقد رسم البروتوكول الرابع خطة العمل للتشكك فى العقائد الدينية ٠٠ فيقول :

« **لهذا يجب علينا زعزعة العقائد الدينية فى قلوب غير اليهود، ونزع فكرة الايمان بالله وبوجود الروح من اذهانهم ، واحلال العقلية الرياضية والرغبات المادية عوضا عنها** »

ولعل ما يستلفت النظر حقا — أن الكرادلة الأمريكيين فى المجمع المسكونى وهم كثرة عددية ٠٠ هم الذين يدافعون عن تبرئة اليهود من دم المسيح ٠٠ ولست أدرى كيف يحاول هؤلاء الكرادلة الامريكيون المحترمون أن يتناسوا واقعهم الدينى المسيحى — على المستوى الداخلى للولايات المتحدة الأمريكية ٠٠ فبدلا من أن يطلبوا تبرئة اليهود فان **واجبهم الدينى يحتم عليهم ان يقاوموا اليهود فى داخل البلاد التى يمثلونها ٠٠**

ولنحاول الآن استعراض النشاط الدينى اليهودى داخل الولايات المتحدة نفسها ٠

لقد حاول اليهود نشر عقيدتهم بين مسيحى أمريكا فلم يفلحوا ، فاتجهوا الى طبقة العمال ، وبذلوا ما فى وسعهم لبث فلسفتهم المالية بينهم ، وهى تقوم على نظرية « أن الحصول على المال هو الغاية ، أما الوسيلة فهى غير ذات موضوع » والدليل على ذلك أننا نرى منهم مرابين ، ولكننا لا نجد فيهم ملوك صناعة ٠ واليهودى لايعمل فى عمل لأنه يميل اليه ولا هو يؤديه حبا فى العمل ذاته ، انما يؤديه لما يجلبه هذا العمل من مال ٠ والرجل الامريكى على النقيض من هذا فهو يفضل عملا يحبه ولو بأجر ضئيل على عمل لا يحبه ولو بأجر كبير ، ولقد كان هذا شعار العمال الأمريكيين فيما مضى ، حيث كان العامل يعتز بمايعمل وبماينتج شأنه فى ذلك شأن المنشىء المبتكر، أما الآن وقد ملك اليهود ناصية الأعمال والبنوك ، فانهم يبثون أفكارهم الهدامة فى المجتمع العمالى الأمريكى ٠ ومنها « أحصل على المال بطريقة شريفة اذا أمكن ، والا فبطريقة غير شريفة لان المال هو الغاية »

وذهب اليهود في نشاطهم الى التأثير على ميادين الالعاب الرياضية وألوان الترفيه والمتعة ، وعلى فكرة الامريكيين عن الوطنية وعن المهن التي تتطلب عملا وتدريبا ..

ولم تسلم **الكنيسة المسيحية** من مساعيهم لاشاعة الافكار الهدامة تحت ستار اسماء مستحدثة كمبادىء الاخوان ، والتشجيع على الجدل في الامور الدينية ، وعدم تقبلها كحقائق لا ريب فيها ، مما يوحي الى الشباب بالتشكك في عقائدهم ، ونبذ الشرائع التي تقوم عليها الروابط الاجتماعية والعلاقات الزوجية – وما هذا الا تطبيقا لمبادىء البروتوكول السادس

وليس اليهود في الولايات المتحدة بمضطهدين ، بل هم انفسهم المضطهدون للمسيحية بكافة اشكالها ونواحيها ، بكافة اساليبهم السياسية والتجارية ، كما انهم يجاهرون بمعارضة التعاليم المسيحية ، بل انهم يذهبون الى ابعد من ذلك فلا يقرون أن يحلف رئيس الجمهورية اليمين على « **العهد الجديد** » من الانجيل ، لأنهم انما يؤمنون « **بالعهد القديم** » .

ولقد يبلغ اضطهاد اليهود للمسيحية في الولايات المتحدة أن يأمروا بأن يزال من المدارس كل ما يوحي الى التلاميذ بأنهم يعيشون في بيئة مسيحية وفي أمة تدين بالمبادىء المسيحية ..

اما عداء اليهود للمسيحية عموما وللمسيح بصفة خاصة فقد امتلأت بها كتب التاريخ وغيرها – فذكر كتابهم التلمود وغيره من الكتب الموضوعة ، ان يسوع المسيح قد أتى من ولادة غير شرعية ، وسبوه وأهانوا أمه ، مريم ابنة عمران ، اهانات قاسية في شرفها مع النجار ، وهاجموا المسيحية ، والمسيح ذاته هجوما عنيفا ، فقالوا انه ابن زنا .

وليقرأ السادة المجتمعون في المجمع المسكوني الموقر – ما كتب عن رسولهم ونبيهم المسيح عيسى بن مريم، وعنهم بوصفهم اعداء الدين اليهودي في التلمود واشعيا وفي الكتب الآتية :

١ – **تولدوت يسوع أو حياة يسوع** : « مجموعة اخبار تقليدية تناقلها اليهود عن المسيح .

٢ – **الصهيونيات** : شعر عبراني حديث نظم في المقارنة بين اليهودية وبين المسيحية والاسلام في صورة نابية ، وفي صيغة تهكم لاذع .

٣ – **مؤلفات هنري هايني**

٤ – **الاناجيل المزيفة التي وضعها اليهود** ، وأثبتوا بها على لسان المسيح والانجيليين ما أثبتوا من سخافات ، وأكاذيب وخرافات في سفاعة منقطعة النظير ، وتحقير في سخرية لاذعة .

٥ – **تاريخ الاسرائيليين لربناخ** ..

وأريد أن أكتفي هنا بأن أورد شهادات واضحة جلية أثبتها شهود عيان للعداء المستفحل بين اليهود والنصارى :

● قال القديس « **يوستينوس الشهيد** » في سنة ١٦٥ م ما يلي :

– « ان اليهود قتلوا المسيحيين كل مرة استطاعوا الى ذلك سبيلا ، ويقتلونهم كل مرة يستطيعون »

● وقال القديس « **باسيل** » من كبار مسيحي القرن الرابع :

– « كان اليهود والوثنيون يقتلون فيما مضى أما اليوم فكلاهما يحارب المسيحية »

● **وقال « مارسمعان بارسبع » .**

– « ان اليهود هم أعداء النصارى الدائمون الذين نجدهم في أوقات العاصفة مقيمين على بغضهم الذي لا يرحم . لا يتورعون عن الصاق أية تهمة كاذبة بنا » .

● **وقال « ربنان » – « في نظر اليهود – المسيحية – هي العدو »**

ولعل أعضاء المجمع المسكوني الموقر المجتمعين الآن في الفاتيكان ينظرون بعين العطف والرعاية الى آمال جميع مسيحيي العالم فيهم – عندما يدينون اليهود بدلا من تبرئتهم ..

تحسين عبد الحي

قراءات في المجلات العربية



يقدمها : مصطفى فوده مصطفى

ربما كانت الترجمات هي السائدة فيموضوعات (العربي) لهذا الشهر ، حتى الاستطلاع الشهري الذي تقوم به يكاد يكون تعريفا بشخصية ولو انها مصرية قديمة ، الا أنها شخصية على كل حال . وحتى كتاب الشهر ولو أنه لم يقصد الى الترجمة ، الا أنها استوعبت جزءا كبيرا من الموضوع .

وما دامت تلك هي السمة الغالبة ، فليس أمامنا بد من التعرض لبعض من ترجمت لهم «العربي» حتى يعم التعريف بأعلامنا الأول أكبر حيز ممكن من أرجاء وطننا . وحتى يقف الكثيرون على مواقف أولئك الأعلام الذين أثروا فينا وتركوا لنا تراثا قل منا من يعرفه ، برغم أنه يمثل الأساس الذي يجب أن تبنى عليه عمارتنا الفكرية ، حتى نسلم من الغزو الفكري الذي يهددنا من الداخل ويعمل جاهدا على تقويض ذلك التراث ومحوه من نفوسنا ، وغرس ما لا يتلاءم مع شخصيتنا ذات الجذور العميقة والقيم الراسخة الثابتة المتكئة على حصيلة سنين طويلة من الاخلاقيات ذات النمط المعين المترسب في نفوسنا ، وحتى تكون قفزاتنا في مستقبلنا نابعة من قيم تمثل الارض الصلبة التي تجعلنا نندفع الى أعلا بعزم وقوة ، لأننا حين نتخلى عن ذلك التراث نكون كمن يقفز من الماء لا تكاد قفزته تصل به الى سطح ذلك الماء ، وأنا لا أدعو بالطبع الى الانحباس على ذلك التراث فقط ، ولكنني أدعو الى جعله الاساس ، حتى لا نضل عن أصلنا (ومن فات قديمه تاه) وهذا هو المثل الذي هو حصيلة تجاريب كثيرة لسنين عديدة .

● **الأوزاعي :**

وممن حدثتنا عنهم العربي (الاوزاعي) وقدم الحديث « زهدي يكن » . والاوزاعي من فقهاء الشام الذين لا يخشون في الحق لومة لائم ، وصفه ابن سعد فقال : ثقة ، مأمون ، صدوق ، فاضل ، خير ، كثير الحديث والعلم ، والفقه ، حجة ، أخذ عنه مالك ابن أنس ومع تثبته في الفقه كان ثبتا في اللغة أيضا ومن أقواله : « اذا أراد الله بقوم شرا فتح عليهم باب الجدل ، وسد عنهم باب العمل » ولقد شاع العمل برأى الاوزاعي في الفقه في الشام والمغرب والاندلس . وللأوزاعي مؤلفات أملاها على تلاميذه منها « الفهرست » و « المسائل الفقهية » ، وآراؤه « تمثل السنة التقليدية في الفقه الاسلامي » .

وللأوزاعي مواقف تبين شدته في الحق وجرأته فيه « لما دخل عبد الله بن علي دمشق بعد ان أجلى بني امية عنها ، طلب الأوزاعي فتغيب عنه ثلاثة ايام، ثم حضر بين يديه . قال الأوزاعي : دخلت عليه فسلمت فلم يرد ثم قال : يا أوزاعي ما ترى فيما صنعناه من ازالة ايدي أولئك الظلمة عن العباد والبلاد؟ اجهادا ورباطا هو ؟ فقلت : أيها الأمير ، سمعت يحيى ابن سعيد الانصاري يقول ان رسول الله قال: (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت

هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الىدنيا يصيبها، أو امرأةيتزوجها، فهجرته الى ما هاجر اليه » ٠

فنكث بخرزانة في يده اشد مايكون النكث وجعل من حوله يقبضون ايديهم على قبضات سيوفهم ٠ ثم قال : يا اوزاعى ما تقول فى دماء بنى امية ؟ فقلت: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث ، النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) فنكث بها اشد من ذلك ٠ ثم قال : ما تقول فى اموالهم ؟ فقلت (ان كانت فى أيديهم حراما فهى حرام عليك ايضا ، وان كانت حلالا فلا تحل لك الا بطريق شرعى) فنكث اشد ما كان ينكث من قبل ذلك ٠ ثم قال : الا نوليك القضاء ؟ فقلت « ان اسلافك لم يكونوا يشقون على فى ذلك ، وانى احب ان يتم ما بداونى به من الاحسان » فقال :كانكتحب الانصراف ؟ فقلت « ان ورائى حرماً ، وهن يحتجن الى القيام عليهن وسترهن وقلوبهن مشغولة بسببى » ٠

● **العبسى :**

والاستاذ (جواد علوش) يقدم لنا شخصية شاعرة هى (العبسى) وهو ليس أبو الفوارس عنترة ابن شداد ، كما يتطرق الى الاذهان لأول وهلة ، ولكنه شاعر آخر ولد فى بغداد سنة ٤٤٣ هـ وينتهى نسبه الى قبيلة (عبس) أيضا ، « وكان شاعرا مجيدا وكاتبا مبدعا ٠٠ يتمتع بمنزلة عظيمة عند الأمراء فى ذلك العصر » ٠ كما كانت له مواقف مع أدباء عصره منها : أنه كان فى مجلس الوزيرالعباس جمال الدين أبى على فحضر أبو محمد القاسم بن على الحريرى ومعه أربعون مقامة، قرأ بعضها فى المجلس، وقال انها من صنعته فلم يصدقوه لما فيها من قوة وبلاغة ولما فيه منعدم انسجام الشكل ورثاثةالهيئة، فسأله الوزير عن صناعته وعرف أنه من المنشئين فرأى أن يمتحنه ليعرف صدقه من كذبه واقترح عليه موضوعا معينا يكتبفيه (مقامة) فأخذالحريرى ركنا من أركانالديوان مكث فيه زمانا حاول أنيكتب ولكنه لم يستطع ، فقام خجلان آسفا وقال فيه العبسى :

شيخ لنا من ربيعة الفرس
ينتف عثنونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان كما
رماه وسط الديوان بالخرس

ولقد اتصل العبسى بالخليفة المسترشد بالله وصار أثيرا مقربا لديه فاعطاه مالا ودورا ببغداد ، هدمها وبنى عليها قصرا عظيما ، غير أن حساده وشوا به عند الخليفة واتهموه بالتجسس ، فغضب عليه ، وهدم قصره فهرب ٠ وكان العبسى هجاءمقذعا يسلق بلسانه الكبراء والوزراء دون خوف أو وجل وبلا تحرز أو حرج ، من ذلك هجاء الوزير ضياء الملك :

شكرت بوابك اذ ردنى
وذمه غيرى على رده
اعاذنى من قبح ملقاك لى
وكبرك الزائد عن حده
فعدت ان اضرع خدى لمن
ماء الحيا غاض من خده

ولم يكن من المعقول أن يسكت عنه الناس وهو يشتمهم فهجاه الآخرون :

هذا ابن افلح كاتبا
متفردا بصفاته
اقلامه من غيره
ودواته من ذاته

ولسانه المقذع هذا ، كان يسيل رقة عندما يتغزل :

هذه الخيف وهاتيك منى
فترفق أيها الحادى بنا
واحبس الركب علينا ساعة
نندب الربع ونبكى الدمنا
زمنا كانوا وكنا جيرة
يا اعاد الله ذاك الزمنا

***

● **وصلنى رد على كلمة نشرتها فى الاسبوع قبل الفائت ، وناقشت فيها اتجاه بعض أدبائنا نحو أدب اشبه باللامعقول ، هذا الرد من القصاص (ابراهيم اصلان) وها انا اضعه بين يدى القارئ ، وليس لى من ملاحظة على هذا الرد ، الا كثرة الأرجاء التى عمد اليها السيد ابراهيم ٠ ولست ادرى لم كل هذا الارجاء ، ما دام قد شاء المناقشة ! على كل لنضع الرد بين يدى القارئ ٠**

● حول الاتجاهات الحديثة فى القصة المصرية

بالرغم من أن هناك أزمة حقيقية تمر بها الحركة الادبية عامة فى جمهوريتنا ، فان مما لا شك فيه أن ثمة اتجاهات حديثة قد أخذت تتضح فى كتابات بعض الموهوبين من القصاصين الشبان ·

أما عن الأزمة ، التى قد يظن البعض انها مزعومة، فهى نتاج طبيعى لهذه الانبهارة الحضارية التى يمر بها عالمنا فى هذه الآونة الاخيرة·هذا ·· ولن أزيد· حيث ان المناقشة قد تضر بالقضية اذا ما حاولنا ان نلم بابعادها فى مثل هذه العجالة الموجزة · وهى ابعاد قد تكون واضحة فى أذهان الكثير من القراء ، وأرجو مخلصا أن يكون الأمر كذلك ·

وأما عن الاتجـــاهات الجديدة ، والتى نرجىء – ايضا – مناقشتها والتعريف بها الى كلمة أخرى ، مكتفيا بأن أقول أنها قد خرجت عن التقاليد المرعية والقوالب المتوارثة وجمودها ، مؤكدا عـــدم لومى للقارىء اذا ما انتابته الدهشـــة لهـذا الادعاء من جانبى · وما ذلك الا لأن هـذه الـكتابات لم تعرف طريقها الى النشر بعد الا فى أضيق الحـدود ، والى الدرجة التى يمكننى فيها أن أضيف بلا حرج : ان كافة القصص المنشورة فى مجلاتنا المعنية لا تعبرعن الوجه الحقيقى للقصة المصرية القصيرة ·

ترى لماذا أقول هذه الكلمات ؟

الواقع أن الذى أثارها فى ذهنى هو مقال الاستاذ « **مصطفى فوده** » المنشور بالعدد ٦٥ من الرســـالة تحت عنوان « ليست رؤيا ولكنها شىء آخر »·والذى تناول فيه واحدا من أصحاب هذه الاتجاهات ، هو الصديق الفنان « **محمد حافظ رجب** » ، حيث ناقش فيه بعض كتاباته بصراحة ليست معهودة منـه – موضحا أن : (بعضهم قد زعم أنها رؤيا خاصة يراها الفنان ولا يستطيع الا أن يقدمها للناس ليروا معـه ما رأى · غير انى أتساءل : وهل يرى الناس بالفعل ما رآه صاحب الرؤيا الخاصة ؟ لست أعتقد · لاننا حين نرى مثل هذا الفن نسأل أنفسنا بعد ألا نفهم شيئا · أما زالت لنا رءوس تحمل عقولا ؟! أم أنهـا انتهت بانتهاء قراءتنا لمثل هذا العمل · أم لعله عقل الآخر ذو الرؤيا الخاصة ، هو الذى ذهب حين قدم لنا مثل هذا العمل ؟!)

ليطرح القضية بعد ذلك متسائلا ، وعلى المستوى الاجتماعى :

« ما جدوى هـــذا النوع من الفن القـريب من اللامعقول الذى تأباه لحظاتنا الراهنـة ، لحظة البناء والتطلع الى مستقبل أفضل ؟ »

وكأنى بالأســتاذ مصطفى قد تناسى أن الاجابة الطبيعية على تساؤله هى أنه لم يصبح من المستغرب بعد ، أن تكون للفنان عمومه المعاشية والنفسية التى هى فى الواقع نتاج طبيعى – مهما كانت خصوصيته – لذلك الواقع الاجتماعى ·

وأنا اذ كنت أشكر الاستاذ مصطفى فوده اهتمامه بمثل هذه التجارب ، ذلك الاهتمام الذى افتقدناه بشكل عام ، الا انى ما كنت أود له أن يسرع بدوره الى تقرير بعض الحقائق التى كانت تتطلب الكثير من البحث والتقصى · فمما لا شك فيه أن حافظ رجب موهبة أصيلة ، وواحد من أبناء جيلنا الذين نعتز بهم ، هذا الجيل الذى شاء له سوء طالعه أن يواكب حالة التقاعس المريرة والاغفاءة المخزية التى راح فيها أفاضل الدارسين من النقاد ·

لقد آلمنى حقا ان ينتهى الأستاذ مصطفى فوده ، وهو قصاص وواحد من أبناء هذا الجيل ، الى مثل هذه الاحكام القاسية ·

ترى هل هو دفاع عن حافظ رجب أو عن اتجاه بالذات ؟· أبدا ·· أنا لا ازعم لنفسى ذلك· فالأمر متروك للأيام بوصفها المحك الرئيسى الذى يمكننا ان نعول عليه ، ان المسالة قد لا تعدو أن تكون فعلا ، مجرد فوضى محزنة · ولكن عندما نحاول أن نقيم كاتبا أو نحدد اتجاها ، فان الانصاف يقتضينا الا نكتفى ببعض المظاهر لنستخلص النتائج · خاصـة اذا كنا مسـئولين عن الكلمـة التى قد تترك لدى القارىء ، فى مثل هذه الحالة ، انطباعا خطيرا مؤداه أن هذه الكتابات مثلا ·· انفصام وتعويق لا يتفق و (لحظتنا الراهنة) ·

نحن جميعا ابناء هذا البلد ، وكل منا يسـاهم فى البناء بطريقته الخاصة ، والفن لن يزدهر الا اذا تعددت الطرائق فيه والاساليب ، وذلك بدوره لن يتأتى الا اذا آمنـا بكتـابات مجددينا من الشبـان ووضعناها محل العناية والفحص والتقدير ، ومن ثم التقييم ، الذى يكون عندئذ أقرب الى الصـواب منه الى التخمين ، وحيث يكون انتهاؤنا الى أى من الحقائق – الطيبة وغير الطيبة – هو انتهاء يرضى ضمائرنا جميعا ·

ابراهيم اصلان



بقلم : محمد العيساوى الجمنى
على هامش « حول الشابى »

لفت نظرى – فى البريد الأدبى – العدد ٦٥ من « الرسالة » ما كتبه السيد : عبد الكريم رجب مشيرا فيه الى ماكتبه السيد – مظلوم خضر – عن التحاق « الشابى » بكلية الحقوق التونسية واحرازه شهادتها ١٩٣٠ . كما اشار الى ما كتبه الدكتور محمد مندور فى كتابه .. « الشعر المصرى بعد شوقى» من انه كان يعتقد – بعد قراءته لبعض قصائد «الشابى» ان الشاعر يعرف اللغة الفرنسية . ولكنه بعد دراسته لما كتب عن «الشابى» ثبت لديه أن الشاعر العربى التونسى لم يكن يعرف لغة اجنبية قط .. ومن هنا ازداد اعجابه به .. واطلع السيد عبد الكريم على ماكتبه ابو القاسم كرو والدكتور عمر فروخ واكد كل منهما عدم معرفة الشابى للغة اجنبية البتة .. ولكنه قرا مقدمة «الأمين الشابى» لديوان «اغانى الحياة» وهو شقيق للشاعر .. كما قرا السيد عبد الكريم ماجاء فى كتاب الدكتور زكى المحاسنى «ابراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب» عن «الشابى» وخلاصة راى المحاسنى عن الشابى : انه يستبعد ان يكون «الشابى» يجهل اللغة الفرنسية. استنادا منه على اشاعة فرنسا للغتها فى المدارس التونسية . ولايمكن أن تخلو من ذلك كلية الحقوق او الدراسات العالية ... وينهى الاستاذ : عبد الكريم الموضوع بقوله : « ورايى انا ، هو أن «ابا القاسم الشابى» لم يلتحق بكلية الحقوق التونسية فما راى الاستاذ مظلوم خضر فى هذا الموضوع ؟ وما راى القراء ؟؟

ويبدو لى ان السيد عبد الكريم رجب بنى كلامه على مقدمة الديوان ، الخالية من الاشارة الى التحاق الشابى بكلية الحقوق . خصوصا وكاتبها شقيق الشابى .. كما اعتمد على افتراضات الدكتور المحاسنى البعيدة عن الصحة والواقع . وانا باعتبارى مواطنا للشابى وعربيا من تونس اريد بهذه المناسبة ان اساهم فى ارساء الحقيقة ، وتثبيتها ، وتنقيتها من شوائب الخلاف والافتراضات الخاطئة ، والبعيدة عن المنطق والمعقول والحق . خدمة للحقيقة المنشودة وتصحيحا للتاريخ الأدبى لشاعر يتمتع بسمعة ادبية ، وشهرة واسعة فى الوطن العربى الكبير ، كشاعر للحرية والانطلاق ، ومصور للطبيعة الجميلة الساحرة .

أولا : ان مقدمة «الأمين الشابى» لديوان «اغانى الحياة» مقدمة مبتورة ، وناقصة وغير كافية . وقد قيل هذا من يوم صدور الديوان منذ مايقرب من عشر سنوات تقريبا . فالمقدمة تلك تسيىء الى الى الديوان اساءة بالغة الخطورة . وكاتب المقدمة بعيد عن الوسط الأدبى وعن مجالاته بعدا متناهيا. وليست له من صلة بالأدب والشعر سوى انه اخ وشقيق للشابى فقط . وهذه الصلة لاتكفى وحدها لتاريخ حياة شاعر او كتابة مقدمة لديوانه .

ثانيا : يفترض الدكتور زكى المحاسنى – بناء على خيال مجنح ، وبعد عن الدقة – شيوع اللغة الفرنسية فى التعليم التونسى شيوعا كاملا وشاملا وتخيل او تصور أن كل التعليم الابتدائى والثانوى فيه اللغة الفرنسية . ومن هنا استبعد أن تكون كلية الحقوق فى تونس خالية من اللغة الأجنبية .

ومن هنا استبعد ايضا ان يكون الشابى لايعرف اللغة الفرنسية . والدكتور المحاسنى قاس هذا الافتراض على الوضع الثقافى لسوريا ولبنان فى عهد فرنسا . واود ان اشير هنا الى الثنائية التعليمية فى تونس . فهناك تعليمان ، ومنهجان ، وطائفتان فى تونس كما فى مصر والمغرب الأقصى . فالمعاهد والمدارس القومية والوطنية فى تونس كالجامعة الزيتونية وفروعها ابتدائية وثانوية وعالية تدرس كل المواد العلمية باللغة القومية - العربية - وينطبق هذا على ما قبل الاستقلال - ومن هذه المؤسسات القومية المحضة مدرسة الحقوق التونسية - التى تخرج منها الشابى - وكان يؤمها حامل الثانوية الزيتونية ذات التاريخ القومى البعيد ، والمعبرة عن الوجه العربى الأصيل فى المغرب العربى بعامة . وكان خريجوها يعملون غالبا فى المحاماة بالعربية فى المحاكم التونسية الصرفة اما خريجو الحقوق الفرنسية فيعملون فى المحاكم الفرنسية المحضة او المختلطة . هذا الى جانب التعليم الفرنسى الصرف المتمثل فى مدارس ابتدائية ، وثانوية ، وعالية . وكان يؤمها ابناء الطبقة الغنية والمحظوظين ، وابناء العائلات ذات الحياة الاقتصادية المركزة الى جانب ابناء الجالية الفرنسية واليهودية وكافة الأوربيين فى تونس .

اولا : قسم كبير تمسك باللغة القومية ووقف يحرسها ويدافع عنها ويعمل على ترسيخها وجعلها لغة البلاد الاولى . وكان هذا الفريق لايرى خيرا فى تعلم لغة العدو لأن ذلك - فى نظره - يضعف اللغة القومية ، ويعمل على محوها ، واحلال الفرنسية محلها . وقد وصل هذا الفريق الى حد التعصب والتزمت ، والموت . ومن هنا ظلت فرنسا منذ دخولها تونس تحارب حماة العربية وحراس التراث العربى ، وتحرمهم من جميع خيرات بلادهم ماديا ومعنويا . والعجيب ان هذا الوضع بقى حتى بعد الاستقلال . .

ثانيا : قسم ثان راى عكس الفريق الأول . اذ راى ان من الخير تعلم اللغة الفرنسية والاندماج فى الحياة الفرنسية وتقليدها والتعلق بها باعتبارها حياة متحضرة ومتقدمة ، ومتعاصرة . واخيرا راى ان من تعلم الفرنسية وتغرب كان محظوظا عند اولى الأمر وحصل على حياة رغدة ومستوى رفيع واحتضنته فرنسا بحرارة واخلاص .

وبهذا نكون قد عرفنا ان الشابى قد تخرج فى كلية الحقوق التونسية مع عدم معرفته للغة الفرنسية . . ولا ادرى لماذا ياخذ السيد عبدالكريم رجب بالآراء الضعيفة ؟ وكيف يرفض راى كرو ، وفروخ ، ومندور على ما فى هذه الآراء من حقيقة وواقع منقول عن النبع الأصلى ؟ وكيف ينحاز الى افتراضات الدكتور المحاسنى ، وعدم المام شقيق الشابى فى مقدمته بحياة شقيقه الشابى ؟! وانا ارجو ان اكون بهذا التصحيح قد وضعت حدا للجدل فى امور مسلمة ولاتحتاج الى مراء . وان اكون قد وضعت الأمور فى نصابها . والحقيقة ان السيد عبد الكريم رجب لو ترك الأمر عند استعراض آراء من ذكرهم بدون ان يصر فى آخر المقال - تعنتا وعنادا - على عدم دخول الشابى لمدرسة الحقوق التونسية لما اضطررت لكتابة هذه الكلمة . . فالكلمة مسئولية ، واحترامها واجب مقدس ، ومنطقية آراء الفرد وكتابته ضرورة لاغنى عنها بحال من الأحوال ، وترجيح غير الراجح امر غير مقبول ولا مستساغ . وشكرا للسيد عبد الكريم حيث اتاح لى فرصة هذا الايضاح وشكرا للرسالة على فتح صدرها لتوضيح الحقائق الأدبية .

ولم لا ؟!

بقلم فوزى عرفة

فى مقالة الاستاذ الدكتور «محمد احمد خلف الله «منطق التفريعات» ثلاث قضايا هامة تستحق التوقف وامعان النظر .

اولاها : قصور فقه الفقهاء عن البت فى مسائل المعاملات المالية .

وثانيتها : انه لاينبغى ان نرجع الى الأقدمين فى ترسيخ نهضتنا المعاصرة .

وثالثتها : ان الفقهاء كانوا يمارسون رياضة ذهنية بعيدة عن الواقع .

والواقع ان هذه الأحكام السريعة التى اجراها استاذنا الدكتور فيها كثير من التجنى والاطلاق الذى لامسوغ له من تاريخ او واقع .

فاذا كان الفقهاء قد وضعوا لكل زمان ما يعالج مشاكله من الأقضية والاحكام وجعلوا شعارهم «لاينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان» فليس فى هذا اى ضير عليهم لأنه يدل **اولا** على حيوية القاعدة

الأساسية التي اشتقت منها الأحكام ، **وثانيا على** فهم عميق من هؤلاء الفقهاء لروح الأعصر المختلفة التي عاشوا فيها .

والأمر الغريب هو الميل الى فصم الماضي عن الحاضر وفصل التراث عن الواقع . فذلك شطط في القول لأن الاستعانة بالتجارب السابقة في ارساء حياتنا الحاضرة وحضارتنا المعاصرة انما هو — في حقيقة الأمر — تجنب لمزالق قد نتعرض لها اذا ما بدانا بناءنا بلا نظرة سلفية أو استفادة تراثية .

واما القول بأن الفقهاء كانوا يمارسون رياضة ذهنية بعيدة عن الواقع وما طبق فعلا ، فذلك رأى ينقصه السند الصحيح . اذ ان الاستقراء الصحيح يدل على ان الفقهاء كانوا يشعرون بالحاجة الملحة الى هذه الأسئلة فعرضوها على انفسهم وحاولوا الاجابة عليها . بل ان بعض الخلفاء طلب بنفسه من الفقهاء وضع قوانين يسير عليها ويستنير بها فيما جد من أمور . ونظرة واحدة على كتاب « الخراج » لأبي يوسف تدل على ماسبق فهو في اول الكتاب يقول « ان امير المؤمنين — هارون الرشيد — سألني ان اضع له كتابا جامعا يعمل به في جباية الخراج والعشور والصدقات والجوالي — اى اهل الجزية — وغير ذلك مما يجب عليه النظر فيه والعمل به وانما اراد بذلك رفع الظلم عن رعيته والصلاح لأمرهم » .

أما ماحدث من رياضات ذهنية فذلك بفعل نكسة المت بالأمة الاسلامية في عصر خمولها ولا ينسحب هذا الحكم على عهود حيوية الفقه ونشاط الفقهاء وازدهار الاسلام واقبال الدنيا على المسلمين .

● الرسالة .. تشكر السيد فوزى عرفة ، وتلفت النظر الى الافتتاحية بهذا العدد للدكتور محمد أحمد خلف الله .

دعوني اغنى

للدكتور محمد سعد جلال

سأغنى فوق الربى العالية
وعلى سفوح الجبال
وفى الوديان العميقة السحيقة
فدعوني اغنى

***

سأغنى فى السعير المضطرم
وفى المروج الخضر
ومع الرعيان الحالمين
واغنى مع الحيارى والكادحين
فدعونى اغنى

***

سأغنى للدموع المسفوحة
والايدى الجريحة
والاطفال الصفر الوجوه
والامهات الحزينات
فدعونى اغنى

***

سأغنى للأرض
امنا الأرض
لترى أبناءها الصادقين
ومغتصبيها الظالمين
وضيفاتها السكارى
فدعونى اغنى

***

فى المحراب المهجور
ومنذ الفجر البعيد
مشيت على الشوك
وصليت للأسي
وغنيت التائهين
فدعونى اغنى

***

وقفت على راس الطريق
فى يدى مشعل ملتهب
انادى الحيارى
بين عصف الرياح
وطعن الرماح
دموعى ضاحكة
وجراحى ترنيم
فدعونى اغنى

***

يامن اعياهم المسير
وسلمهم الخوف
واوحشهم الظلام
وزينت لهم الراحة
دعونى اغنى

***

سأمضي على الدرب وحدى
طريقى مفتوحة
وليلى مضيء
ومعشوقى ينادينى
فدعونى اغنى
ابدا اغنى

نعمات

بقلم عباس محمد عباس

انا متعب للغاية . ويبدو انني لن اظفر بمقعد خال في هذا القطار المزدحم .. هل ساقدر على تحمل السفر من الاسكندرية حتى القاهرة واقفا على قدمي ؟ .. فلقد استطعت يوم الاربعاء ان اصرخ في زوجتي انت طالق .. ومادمت قد طلقت نعمات فانا استطيع بالتاكيد ان افعل اي شيء آخر .. الدنيا برد ، وياقة قميصي متسخة .. ولكن المهم ان اجد لنفسي مقعدا .. ربما أجده في العربة الأخيرة من القطار ... من فضلك هل يمكنني ان اجلس الى جوارك في هذا المقعد .. شكرا ... دائما لا اجد لنفسي مكانا الا في آخر الطابور .. اي طابور .. حتى طابور المدرسة كانت قامتي القصيره تدفعني دائما الى آخره .. دن .. دن .. دن .. هاهو القطار يتحرك اخيرا .. بعد عدة ساعات سارى امي ، وقبل ان اتكلم سادفن وجهي في صدرها وابكي .. ستضطرب قليلا لدموعي ولكن في حمى نظراتها الاليفة سافتح لها صدري وساتكلم كما لم اتكلم من قبل .. حياتي كلها قضيتها قليل الكلام ، لا أعرف كيف اشكو ولكن هذه المرة ساشكو وسابكي واذا لزم الأمر سالقي بنفسي على الارض واعض البلاط واصرخ واصرخ حتى اجن ... **(شاي .. قهوة .. شاي .. سميط طازه .. تذاكر من فضلك .. تذاكر)** .. لو انام قليلا حتى ولو عشر دقائق فقط ربما استطيع ان ازيح عن راسي هذا الصداع الخبيث .. الرجل الجالس امامي بوجهه السمين ومعطفه الاسود الغليظ يبدو الى جوار زوجته راضيا تماما ... يحتمل انه تناول غداءه بطة سمينة ملظلظة كزوجته .. زوجتي نعمات نحيله ولكني احب تقاطيع جسدها وقبلاتها السريعة المنمنمة التي تفرشها احيانا بلا حساب على صفحة وجهي .. كل شيء انتهى .. نعمات لم تعد زوجتي ولكن مكانها مازال محفورا في فراشي .. لم استطع ان آخذ كفايتي من النوم منذ تركت البيت ومع ذلك سوف اعتاد الامر .. فليس من الضروري ان يكون للانسان زوجة لكي يعيش ... الطبيب قال لي عندك انيميا حادة وكتب لي روشتة مفجعة لطابور طويل من الادوية بخمسة جنيهات .. لو كان معي خمسة جنيهات ما طلقت نعمات .. هذا الطبيب لا يعرف شيئا .. ونعمات هي الاخرى لا تعرف شيئا والا ما كانت تسدد الى وجهي هذه النظرات القاسية وكانها تقول لي انك لا شيء .. لا بل قالتها مرة باللسان ايضا .. كنت اسلمها كالعادة مرتبي في اول الشهر فقالت : انا لا اعرف كيف لا تخجل حينما تمد يدك للصراف لتقبض هذا المرتب التافه .. نعمات لا تعرف انني اخجل بالفعل ليس من الصراف فقط ولكن من بواب العمارة ايضا كلما يناديني ياسعادة البك .. عم عبد الفتاح البواب هو الآخر لا يعرف شيئا .. وربما حتى لا يعرف ان الالقاب نفسها قد الغيت ... ايجار شقتي سبعة جنيهات ونصف .. ما كان ينبغي ان ارضخ لنعمات واسكن بكل هذا المبلغ .. على العموم سأترك هذه الشقة وساسكن بثلاثة جنيهات فقط .. رضيت نعمات بذلك ام لم ترض .. آه كأني نسيت .. نعمات لم تعد زوجتي .. نعمات لم يعد لها راي في شيء .. مرة أخرى احمل حياتي وحدي .. وحدي ..

القطار يتحرك على قضبانه ونظرات الرجل الجالس امامي تتحرك هي الاخرى ولكن بلا قضبان .. انه ينظر الى لعله يقارن وجهي الممصوص بوجهه السمين ، وربما يقارن جلستي المنكمشة من البرد بجلسته المطمئنة في معطفه الاسود الدافيء .. تمنيت دائما امتلاك معطف لم يكن لي قط .. البرد كريه ، وليس احب الى من الدفء .. الرجل يتحدث الى زوجته وكل كلمتين يقول لها يا أم رجاء .. كان لي بنت اسمها هدى ماتت وعمرها عامان .. كانت لها كف صغيرة جدا ، ورائعة جدا ولا سيما حين تكورها .. ولكنها كانت دائما في حاجة الى طبيب ، كل الأطباء لا يعرفون شيئا حتى انا قرأت

الكثير من الكتب ومع ذلك لا اعرف شيئا .. دائما اتعارك مع زملائي في العمل ... وفي البيت اتعارك مع نعمات .. نعمات طيبة ولكن لسانها طويل سريع الطلقات تقول كل شيء يجول بخاطرها .. انا اقرأ افكارها دون أن تقولها ومع ذلك تقولها .. انا اعرف اننا في حاجة الى مزيد من النقود ولكن لكي تقول لي هذا طوال الوقت فذلك مالا يطاق .. قلت لها اسكتي فقالت لن اسكت .. لن اسكت .. لن اسكت .. فقلت لها اذن اذهبي انت طالق .. كلمة ما فكرت يوما اني سانطقها ومع ذلك قلتها .. وتركت البيت وسرت في الطرقات عدة ساعات وحينما عدت لم اجد نعمات .. الطريق مازال طويلا .. والقطار ينهب الارض وكانه ثعبان يأكل القضبان ، والشمس تضع قرصها بحرص على الافق .. والحقول تبدو في حمرة الغروب وكأنها تتهيأ لحريق كبير .. خيرلي ان اموت فاستريح .. بعد قليل سياتي الليل .. اريد ان اصرخ صرخة خرافية يتصدع لها الكون .. (سميط .. بيض .. جبنه .. شاي .. قهوة .. اظن المحطة القادمة هي طنطا اليس كذلك ؟ .. مولد السيد البدوي في العام الماضي كان مزدحما .. ابي رحمه الله كان يزور المولد كل عام .. شكرا .. انا لا ادخن .. اخوتي ستة كلهم يدخنون الا انا .. انا لا يهمني ارتفاع ثمن السجائر .. الطعام فقط هو الذي يهمني .. ها .. ها .. ها) .. نعمات ذات مرة قالت لي وهي تضع سبابتها اسفل ذقني احبك يا احمد .. قالتها في شقاوة ولكن في اخلاص .. نعمات لاتعرف الكذب وليتها كانت تعرفه .. (الحرب لن تقوم .. بالعكس الحرب من الممكن أن تقوم في اي وقت) .. ليتني استطيع ان اشعل حربا تنهى كل شيء .. فما جدوى بكائي على صدر امي .. بل ما جدوى ذهابي كل يوم الى المصلحة اواجه رئيسي المتعجرف وزملائي المشاكسين وعملي التافه .. نعمات هي الآن عند اهلها في شبرا .. لو لم اكن قد طلقتها لكنت ذهبت فور وصولي الى هناك .. انا احب بيتهم ومنظر شارعهم المزدحم وطريقة ترحيب امها .. لو ذهبت الآن الى هناك ما وجدت ترحيبا وربما لن امس بقدمي ارض شبرا كلها بعد ذلك . فليس لي منها غير هذا البيت .. لو سافرت في اول النهار لكنت لحقت بابيها الاسطى عبد الجواد في عمله بالمطبعة الاميرية وربما استطعت الى جوار حروف الرصاص ان اعتذر اليه . فالرجل قلب

ويذكرني بابي بل يخجلني ان يغضب مني ولا شك ان دموع نعمات اغضبته .. لا بأس . سانتزع امي من فوق سجادة صلاتها لاقول لها ما اشاء ولأبكي على صدرها كيف اشاء .. الليل بلا قمر وبلا دفء يغطي الحقول في صمت كريه .. تبدو ضجة القطار من خلاله كاستغاثة يائسة في وجه هلاك محقق .. والناس في القطار يتهيأون للوصول .. (خذي الحقيبة يام رجاء .. عشر دقائق ونصل .. لا هناك ربع ساعة على الاقل ، فالقطار يهدىء من سرعته عند شبرا فهناك ترميم في القضبان .. انه ليس مجرد ترميم .. انهم يبنون محطة جديدة .. لمدخل القاهرة الجديد على ما اظن ؟ .. هو ذاك فالمحطة الحالية اصبحت قديمة بالفعل ! وكئيبة ايضا فما ابشع هيكلها الحديدي بهندسته الانجليزية .. ليت القطار حينما يصل اليها لا يتوقف بل ينطلق محطما هيكلها الكبير الى الخارج يحرث شوارع القاهرة حتى الجيزه .. بل حتى حارة العوادلي نفسها حيث امي على سجادة صلاتها اوعلى اريكتها العتيقة امام عدة القهوة .. امجنون انا ؟ ! .. قطار بلا قضبان ! .. قضبان القطار كقضبان السجن كقضبان شباك الصراف اشياء لابد منها (خذ حبتين من الاسبرين وكوبا من الشاي قبل أن تنام .. انا افعل ذلك دائما حينما اشعر ببوادر الانفلونزا .. الم اقل لك ها هو القطار يهدىء من سرعته . تعال الى جواري هنا وانظر هذه المظلة الكبيرة التي يعمل فيها العمال على ضوء المصابيح .. خلفها تماما يقع الطريق الجديد الذي سيكون مدخلا للقاهرة .. زيء .. زيء .. يبدو ان القطار سيتوقف .. لقد توقف تماما .. ما الذي يحدث ؟ يظهر ان التصليحات توشك ان تبلغ نهايتها) .. ثمة كلمات في الصدر يجب ان اقولها .. وثمة دموع في العين يجب ان اسكبها .. الدموع .. اين الدموع ؟ .. ليتني ابكي الآن .. حاسب يا سيد .. الى اين ؟ هذه ليست محطة .. هذا الرجل مجنون من غير شك .. انه يسير على القضبان كانه ابو قردان .. عمري مارايت رجلا قصيرا وعبيطا الا هذا .. يا اخي دعك منه فربما يسكن في شبرا ولو .. يا اخي هناك محطة دعك منه انزل حقيبتك هنا الى جواري فالقطار يتحرك من جديد .

عباس محمد عباس



العدد ٦٧
الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر